جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم (دراسة نقديّة)

إعداد
مصطفى صلاح الدين حسن صبري

إشراف
د. خالد علوان

قُدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدّين بكلية الدراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2012م

تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم (دراسة نقديّة)

إعداد

مصطفى صلاح الدين حسن صبري

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/3/6م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
1. د. خالد علوان / مشرفاً ورئيساً	....
2. د. حاتم جلال التميمي/ ممتحناً خارجياً	....
3. د. محسن الخالدي / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

: الشيخ الفاضل صلاح الدين صبري، أطال الله عمره وأحسن عمله.

وإلى والدتي الفاضلة، حفظها الله وعافاها من كل سوء وأجزل المثوبة لها.

.

.

عرفاناً مني للجهود التي بُذلت ومن باب رد الفضل، أتقدّم بالشكر الجزيل والامتنان، إلى عمادة كليّة الدراسات العليا وكليّة الشريعة ممثلة بالأساتذة الكرام على حرصهم الحثيث لإنجاح هذه الأطروحة ومنهم خاصة قسم أصول الدين.

وأخص بالشكر مشرفي الفاضل الدكتور خالد علوان على ما تفضّل به عليّ من توجيه وتصويب وبذل من جهده ووقته لقراءة الأطروحة ومراجعتها.

كما أتقدّم بوافر الشكر وجزيل الامتنان للأساتذة الذين نهلت منهم علماً، وجميع من له فضل عليّ بعلمه وتوجيهه وإرشاده.

كما أتقدم بوافر الشكر وجزيل الامتنان للدكتور الفاضل محسن الخالديّ أستاذ التفسير وعلومه في كليّة الشريعة بجامعة النّجاح، وفضيلة الدكتور حاتم جلال التميميّ أستاذ التفسير في جامعة القدس، اللذيْن تفضلا بقبول مناقشة هذه الأطروحة فجزاهما الله كل خير.

والشكر المتواصل لوالدي العزيز الشيخ صلاح الدين صبري والعالم الشيخ علي الحلبي والعلامة الشيخ مشهور سلمان، الذين أفادوني في التوجيه والإرشاد وببعض المراجع والترتيبات والردود ونصائح متعددة، فجزاهم الله خيراً.

وشكر خاص لأخي الفاضل الشيخ علي أبو هنيّة الذي دقق هذه الأطروحة لغويّاً.

ولا أنسى الإخوة الأفاضل في لجنة زكاة القدس على ما قدموه، فجزى الله الجميع كل خير وبارك الله فيهم.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدّم الرسالة التي تحمل العنوان:

تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم (دراسة نقديّة)

أقر بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنّما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمــت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علميّة، أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالب:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرس المحتويات

تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم (دراسة نقديّة)

إعداد

مصطفى صلاح الدين حسن صبري

إشراف

د. خالد علوان

الملخّص

تشتمل هذه الدراسة على ذكر تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم، ودراستها دراسة نقديّة.

وبهذا فالرسالة ذات أهمية؛ من حيث أنها تتعلّق بعلميْن همـا أهـم علـوم الشـريعة الإسلاميّة؛ علم التفسير، وعلم العقيدة.

واتبع الباحث في إعداد هذه الدراسة على منهج تحليل المضمون، وهو أحـد أشـكال المنهج الوصفي.

وهذه الدراسة تحاول الإجابةَ عن تساؤلاتٍ عدة؛ منها: ما هي المدرسةُ العقليّة الحديثةُ وإلى أين تمتد جذورها؟ وما هي الأسباب التي أدّت إلى ظهور هذه المدرسة وكيف الرد عليها؟ وكيف نتعامل مع الأمور الغيبيّة الواردة في القرآن الكريم، وما هـي الأمثلـة علـى أخطـاءِ العقلانيّين في تفسير أشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم؟

وجاءت هذه الدراسة في مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثةِ فصولٍ وخاتمةٍ. فأمّا المقدمة فاستعرض الباحث فيها أدبيات البحث. وأمّا التمهيد فكان عبارة عن مدخلٍ وتعريفاتٍ لأهم الأمور المتعلقـة بالبحث، خاصة تعريف المدرسة العقليّة. والفصل الأوّل جاء بعنوان: **(مـن هـم العقلانيـون).** ويشتمل على تعريف بالمدرسة العقلانيّة الحديثة وارتباطها بالعقلانيّين القدماء. وتعريف بـأبرز روّاد المدرسة العقليّة الحديثة. والفصل الثاني جاء بعنوان: **(خطأ العقلانيّين وعدم تعارض العقل والنّقل).** ويشتمل على بيان أسباب خطأ العقلانيين. وبيان عدم تعارض العقل والنّقل. والفصـل الثالث جاء بعنوان: **(تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة فـي القـرآن**

الكريم). وهو يشتمل على ذكر تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الـواردة فـي القرآن الكريم وعددها ستة أشراط؛ وهي: انشقاق القمر، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وخروج يأجوج ومأجوج، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة. وأخيراً جـاءت الخاتمة متضمّنة أبرز النتائج التي توصّل إليها الباحث من خلال البحث.

مقدّمة

إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: 102

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ {النّساء:1 }.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ {الأحزاب: 70 -71 }.

أمّا بعد: فإنّ أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار.

ثمّ أمّا بعد..

فإنّ من أهم صفات المؤمنين المفلحين وأعظمها إيمانهم بالغيب وإيقانهم بأنّه حق وصدق، وإيمانهم بكل ما أنزل إلى النّبي صلى الله عليه وسلم- بدون استثناء أو شك أو حتى تردد، فقلوبهم مطمئنة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ {البقرة: 1 5}.

فمن أسباب الفلاح الإيمان بالغيب، والتسليم له، ففي ذلك السعادة الحقة، وعدم التخبّط والضياع، وفيه العصمة من الزيغ والانحراف.

وإنّ أشراط الساعة وعلاماتها هي إنذار وإخبار بقرب الساعة ودنوها، حتى يستعد المسلم، ويتذكر الغافل، ويتوب المذنب فهي ليست للتسلية، إنّما هو اعتقاد صحيح وتعامل سليم مع نصوص الوحيّين.

فلقد مرت أشراط وانقضت وكان الصحابة رضي الله عنهم قد استسلموا لقول النّبي صلى الله عليه وسلم فنجحوا، وهي لا شك أخبار غيبيّة، فوقعت كما أخبر بذلك المعصوم -صلى الله عليه وسلم -.

فإنّ أخبار الغيب لا تؤخذ إلا من نصوص الوحي المعصومة فلا يمكن لأحد أن يقولها إلا بنص صحيح.

وفي القرآن والسنّة أشراط عديدة؛ وقد اقتصرت في رسالتي هذه على الأشراط الواردة في القرآن الكريم، فهي دراسة قرآنيّة بيّنت فيها الأشراط الواردة في القرآن الكريم ودلالات النّصوص عليها، وحشدت تفسير الآيات بآيات وبأحاديث نبويّة، وأقوال الصحابة رضوان الله عنهم جميعاً، وأقوال بعض الأئمة الكرام رحم الله الجميع، حتى تكون بيّنة واضحة وذكرت تفسيرات العقلانيّين للأشراط الواردة في القرآن الكريم ونقاشهم والرد عليهم وقد فصّلت في هذه الأشراط كل شرط بمبحثٍ مستقل، حتى تكون جليّة واضحة.

وقبل ذلك عرّفتُ بالمدرسة العقلانيّة الحديثة التي أعطت مساحة للعقل كبيرة، فوق ما يحتمل وأخضعت نصوص الوحيين له، فقد بيّنت من هم، وما هي أفكارهم، وأسباب خطأهم وكيف تعاملوا مع نصوص القرآن المبيّنة لأشراط الساعة، وبيان تفاوتهم في الخطأ والخلط، من خلال بيان تفسيراتهم لتلك النّصوص.

إنّ للعقل دوراً مهماً في فهم مدلولات النّصوص واستنباط الأحكام الشرعيّة منه حسب قواعد أصول الشرع، ولكن الذي ينكر هو أن يكون العقل البشريّ حاكماً على النّص في أي مجال كان وذلك لأنّ العقل البشريّ مهما بلغ من نضج يقف عاجزاً أمام نصوص الوحي لأنّ النّقول تأتي بما تحار فيه العقول، وأخص بالذكر هنا الغيبيّات وخوارق العادات؛ إذ لا مجال

للعقل في إثبات شيء من ذلك أو إنكاره، أمّا رد الغيبيّات بحجة معارضة العقل أو الحس. فهو خروج بالعقل عن إطاره وجعله في غير مجاله.

والله أسأل أن يتقبّل عملي ويثيبني عليه، ويكتب به النفع والهداية للخلق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أهمية البحث

تكتسبُ هذه الدراسة أهميتَها من طبيعةِ الموضوع الذي تعالجُه خاصةً أن الموضوع عقدي يتعلق بأمور غيبيّة.

ويمكن إجمال أهمية الدراسة في الآتي:

- أنّها تتعلّق بعلميْنِ هما من أشرف العلوم: التفسير، والعقيدة.

- أن الإيمانَ بالغيبِ سببٌ للفلاحِ والسعادة في الدارين.

أسباب اختيار الموضوع

يمكن إجمال الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع في الآتي:

- عدم وجود دراسة مستوفاة في هذا الموضوع.

- أهميةُ التسليمِ للوحيين وضرورةُ الانقيادِ للنّصوص الصحيحة وعدمِ تعارُضِ النّقل الصحيح مع العقلِ السليم.

- ارتباط الموضوع بأُسٍّ الإسلام وركن من أركان الدّين وهو الإيمانُ باليوم الآخر وأهميةُ الإيمان بالغيب وكلُه من التوحيد.

أهداف البحث

تتلخص أهداف الدراسة في الآتي:

1. بيانُ أن تفسير أشراط الساعة لا يخضع للعقل.
2. تذكيرُ المسلمين بالرجوع إلى دين الله والتمسكِ به من خلالِ ذكرِ أشراطِ الساعة.
3. التعرفُ على جملةٍ من أشراطِ الساعة من خلالِ القرآن الكريم.

مشكلة البحث

تحاول هذه الدراسة الإجابةَ عن هذه التساؤلات.

1. ما هي المدرسةُ العقليّة الحديثةُ وإلى أين تمتد جذورُها؟
2. ما هي الأسبابُ التي أدّت إلى ظهور هذه المدرسة وكيف الردُ عليها؟
3. ما هو الفهم الصحيح لأشراط الساعة في ضوء القرآن الكريم ؟
4. كيف نتعاملُ مع الغيبِ والنّصوصِ الصحيحة؟
5. ما هي الأمثلةُ على أخطاءِ العَقلانيّين في أشراطِ الساعة؟

الدراسات السابقة

بعد السؤال والتحري بما تيسر من مراجع ومن خلال البحث عن طريق شبكة الإنترنت تبيّن لي أنّ هذا الموضوع لم يتم الكتابةُ فيه بشكل مستقل وإنّما هناك إشارات أو فصول أو مباحث في كتب تدورُ حول هذا الموضوع وخاصةً كتب العقيدة منها:

1 - درء تعارض العقل والنّقل لابن تيمية رحمه الله.

بين فيه المؤلف أنّ النّقل الصحيح لا يتعارض ولا يتناقض مع العقل السليم وهو مجلدات كثيرة أصّل فيه عدم التعارض وهو رد كبير على العقلانيّة المعتزلة في ردهم لنصوص صحيحة بعقولهم. وهو أصل في عدم التعارض بين العقل والنّقل[1]. والفرق بين دراستي والكتاب أنّ الكتاب متخصص في درء التعارض بين النّقل الصحيح والعقل السليم، أمّا دراستي فهي تفسيرات العقلانيّين لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم.

2 - إتحافُ الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لحمود التويجري[2] رحمه الله حيث رد فيه على أبي عُبّية الذي وَضَعَ تعليقاتٍ له على كتاب النّهاية في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لابن كثير رحمه الله فأَوّلَ تأويلاتٍ باطلة وصرفَ نصوصاً واضحةً عن ظاهِرها ودلالتِها إلى أمورٍ بعيدةٍ عن الحقِ لتوافِقَ عقلَه[3].

في الكتاب ردود على تأويلات خاطئة لأشراط الساعة الورادة في القرآن والسنّة، أمّا دراستي فهي قرآنيّة.

3 - الاتجاهات العقلانية الحديثة لناصر العقل حفظه الله وهي رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود في السعودية تحدث فيها عن التعريف بالمدرسة العقلانيّة القديمة ونشأتها وأفكارها وأصولها ثمّ ذكر العلاقة بين المدرستين وبيّن موقف المدرسة العقلانيّة الحديثة

---

[1] ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، (ت: 728هـ) **درء تعارض العقل والنّقل**، تحقيق: إياد القيسي مكتبة الرشد، السعودية، ط1 1427هـ.

[2] الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، ولد في مدينة المجمعة عاصمة بلدان سدير، وذلك في عام 1334 هـ، وتوفي والده بعد ذلك ، وكان عمر الشيخ إذ ذاك ثمان سنوات، فتعلم مبادىء القراءة والكتابة ، ثم حفظ القرآن الكريم، وهو لم يتجاوز الحادية عشر من عمره. توفي في مدينة الرياض في 1413 هـ،ومن كتبه - الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر. القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[3] التويجري حمود بن عبد الله (ت:1413هـ) **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة** دار الصميعي الرياض ط2 1414هـ.

من اليوم الآخر، وبعض الأشراط ثمّ يذكر سمات هذه المدرسة وأموراً كثيرة فهي خطـــوة مهمة لبيان انحراف العقلانيّين بعد التعريف بهم وبيان أفكارهم وأسباب انحرافهم[1].

أمّا هذه الدراسة فهي قرآنيّة تتحدث عن تفسيراتهم لأشراط الساعة في القرآن الكريم.

4 - منهج المدرسة العقليّة الحديثة في التفسير لفهد الرومي حفظه الله حيث ذكر نشـــأة الفـــرق العقليّة وأصولها ثمّ ذكر أمثلة من انحراف المدرسة العقلانيّة الحديثة في فهم بعض أشـــراط الساعة كالمهدي والدّجال وطلوع الشمس من مغربها... وتفسيراتهم وآرائهم الخاطئـــة حـــول الأشراط وردّ على ذلك. ولكن الفرق بين كتابه ودراستي أنّه لم يذكر تفســـيرات العقلانيّـــين لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم جميعها[2].

5 - كتاب فقد جاء أشراطها لمحمود عطية حفظه الله يسرد فيه جملة من أشراط الساعة ويثبت هذه الأشراط بأدلتها فهو كتاب مهم في إثبات الأشراط من الكتاب والسنّة الصـــحيحة وفيـــه سرد لأشراط الساعة الواردة في القرآن والسنّة الصحيحة بالإجمال، أمّا دراستي فهي أشـــراط الساعة الواردة في القرآن الكريم فقط، مع ذكر تفسيرات العقلانيّين الخاطئة والرد عليها[3].

فهذه خطوات مهمة في الموضوع، ولكنّها لم تبحث الموضوع كدراسة قرآنيّة.

وقد امتازت هذه الدراسة بالآتي:

- أنّها بهذا العنوان أوّل دراسة قرآنيّة في هذا الموضوع حسب علمي.
- جمعَت شتاتَ هذا الموضوع المبثوثِ في بطون كثيرٍ من الكتب في فصولٍ ومباحث وحسب أصولِ البحثِ العلمي.

---

[1] العقل ناصر عبد الكريم (معاصر) **الاتجاهات العقلانية الحديثة**، دار الفضيلة، الســعودية ط1، 1422هـــ - 2001م (رسالة جامعية).

[2] الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (معاصر) **منهج المدرسة العقليّة الحديثة في التفسير**، مؤسســة الرســالة، بيروت، ط4 1414هـ.

[3] محمد علي، محمود عطية (معاصر) **فقد جاء أشــراطها** المركــز العلمــي للدراســات رام الله فلســطين، ط3 1429هـ - 2008 م.

- حاولت هذه الدراسة أن تُرّسِخ أهمية قبولِ النّصوص الصحيحة، وعدَمِ رَدّها إنّما التسليمُ والانقياد للحق.

منهجيّة البحث

قامت هذه الدراسة على منهج تحليل المضمون، وهو أحد أشكال المنهج الوصفي، وذلك وفق الخطوات الإجرائيّة الآتية:

1. جمع الآيات القرآنيّة التي تتحدث عن أشراطِ الساعة.
2. تفسير هذه الآيات بما صح من الأحاديث النبويّة، وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة التفسير.
3. الرجوع إلى كتب التفسير والعقيدة؛ للإفادة مما قاله العلماء حول الآيات المتعلّقة بموضوع الدراسة.
4. اتباعُ الأسلوبِ العلمي بتوثيقِ المعلوماتِ وعزوِ الأقوال إلى أصحابِها وتخريجِ الأحاديث وبيانِ صحيحِها من سقيمِها.
5. اعتمدت على حكم العلامة الألبانيّ في غير الصحيحين.
6. وضعُ علاماتِ الترقيمِ والتشكيلِ والتصنيف كما يقتضي البحثُ العلمي.

حدود الدراسة:

هذه الدراسة محدودة بدراسة تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم.

خطة البحث

جاءت هذه الدراسة في مقدمةٍ وتمهيد وثلاثة فُصول وخاتمةٍ.

التمهيد: وهو عبارة عن مدخل وتعريفات.

الفصل الأول: من هم العقلانيون. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المدرسة العقلانية الحديثة وارتباطها بالعقلانيين القدماء.

المبحث الثاني: التعريف بأبرز روّاد المدرسة العقليّة الحديثة.

الفصل الثاني: خطأ العقلانييّن وعدم تعارض العقل والنّقل. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: من أسباب خطأ العقلانيين.

المبحث الثاني: بيان درء تعارض العقل والنّقل.

الفصل الثالث: تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: آيات اقتراب الساعة.

المبحث الثاني: انشقاق القمر.

المبحث الثالث: نزول عيسى -عليه السلام- من السماء.

المبحث الرابع: خروج يأجوج ومأجوج.

المبحث الخامس: الدخان.

المبحث السادس: طلوع الشمس من مغربها.

المبحث السابع: خروج الدابة.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

المبحث التمهيديّ

التعريفات

المطلب الأوّل: معنى الشرط في اللغة

قال ابن فارس: "(شرط) الشين والراء والطاء أصلٌ يدلُّ على عَلَمٍ وعلامة،... وأشـراط الساعة: علاماتُها... وسمِّي الشُّرَط: لأنّهم جعلوا لأنفسهم عَلامةً يُعرَفون بها. ويقولون: أَشـرَطَ فلاَنٌ نفسَه للهَلَكة، إذا جعلَها عَلَماً للهلاك. ويقال أَشْرَطَ من إبله وغنمه، إذا أعـدَّ منهـا شـيئاً للبيع"[1].

قال الزبيدي: "والشَّرَطُ: أَوَّلُ الشَّيْءِ. قالَ بعضُهم: ومِنْهُ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ ...لأنَّ علامَـةَ الشَّيءِ أَوَّلُه"[2].

المطلب الثاني: معنى الشرط في الاصطلاح

قال الجرجاني في التعريفات: "الشرط تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجـد الأول وجـد الثاني. وقيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجا عن ماهيّته ولا يكون مـؤثراً في وجوده"[3].

المطلب الثالث: معنى الساعة في اللغة

الساعة يراد بها الحين والوقت، وإن قلّ. والجزء من اليوم. وتطلق على يوم القيامة.

قال الرازي: "السَّاعَةُ الوقت الحاضر والجمع السَّاعُ والساعاتُ،... و الساعة القيامة"[4].

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، (ت:395 هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، 6مج، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م،260/3.

[2] الزَّبيدي مرتضى محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،(ت:1205 هـ)، **تاج العروس من جـواهر القـاموس** 40مج، تحقيق مجموعة من المحققين دار الهداية، 405/19.

[3] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت:816 هـ) **التعريفات** 1مج، تحقيق: إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربـي، بيروت، ط 1 1405 هـ 166/1.

[4] الرازي، محمد بن أبي بكر، (ت: 666 هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون، بيـروت 1415 هـ 1995م،326/1.

قال الزبيدي: "ويُعَبِّرُ عن جزءٍ قليلٍ من الليلِ والنهارِ، يقال: جَلَسْتُ عندَك ســـاعةً: أي وَقْتاً قليلاً"[1].

المطلب الرابع: الساعة في الاصطلاح

الساعة في كلام أهل العلم وعند العامة، ترد بمعان:

الأول: يوم القيامة، كما في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ {الروم: 55}.

والثاني: الجزء القليل من الوقت.كما في الآية الكريمة الآنفة وهي قوله تعـــالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ {الروم: 55 }.

الثالث: ترد بمعنى جزء من أربع وعشرين جزءاً متساوياً هي مجموع الليل والنهار.

الرابع: ترد بمعنى الآلة المصنوعة التي يضبط بها الإنسان الوقت ويحملها في يده غالباً.

وقد ذكر البيضاوي سبب تسمية القيامة فقال: "القيامة سمّيت بها لأنها تقـــوم فـــي آخـــر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وصارت علماً بها بالغلبة"[2].

قال ابن الأثير[3]: " [الساعة] هو يوم القيامة... والساعةُ في الأصل تطْلَــق بمعْنيـــين: أحدُهما: أن تكونَ عِبارَة عن جُزءٍ من أربعةٍ وعشرين جُزءاً هي مجموعُ اليوم والليلة. والثاني:

---

[1] الزَّبيدي، **تاج العروس، 241/21.**

[2] البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي، (ت: 685هــ) **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأســـرار التأويل،** لبنان، 1402 هــ - 1982م، ص541**.**

[3] مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصلي، الكاتب، ابن الأثير صاحب " جامع الأصول" و" غريب الحديث" ولد بجزيرة ابن عمر سنة 544 هـ ونشأ بها ثم تحوّل إلى الموصل، قرأ الحديث والعلم والأدب، مات بالموصل عن 63 سنة، وفاته 606 هـ / انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت:748 هـ)، **سير أعلام النبلاء،** مكتبة الصفا، مصر، ط1، 2003م،584/12-585.

أن تكون عبارةَ عن جُزءٍ قليل من النَّهارِ أو الليل. يقال جلستُ عندك ساعة مــن النهــار : أي: وقتاً قليلاً منه، ثم استعِير لاسْم يوم القيامة "[1].

المطلب الخامس: معنى أشراط الساعة: "أشراط الساعة: علاماتها وأشرط فلان نفســه لأمر كذا أي: أعلمها له"[2].

وفي لسان العرب: "ومنه الإشتراط الذي يشترط الناس بعضهم علــى بعــض أي هــي علامات يجعلونها بينهم"[3].

المطلب السادس: التعريف بالمدرسة العقليّة الحديثة

يقول ناصر العقل: "والعقلانيّة هي الاتجاهات والمذاهب التي تجعل العقل المصدر الأوّل أو الأساس أو المقدّم في مصادر المعرفة والفكر والدّين أو تقدّمه وتحكّمه على الوحي"[4].

وممّا يؤخذ على هذا التعريف أنّه جعل كل العقلانيّين، يجعلون العقل المصــدر الأوّل أو الأساس لمعرفة الدّين، والحق أنّ هناك تفاوتاً بينهم في تقديم العقل على النّقل، واختلافات يلمسها القارئ من كتاباتهم.

ويقول في موضع آخر:" المدرسة العقلانيّة الحديثة، وهم مشارب شــتّى بعضــهم قلّــد اتجاهات غربيّة وهناك نزعات فرديّة، وقسم آخر خليط الأفكــار مــن العلمانيّــة[5] والحداثــة[1] والعصرانية [2]...

---

[1] ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت:606 هـ) **النهاية في غريب الحديث والأثر** 5مج، تحقيــق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 2 /422.

[2] الرازي، **مختار الصحاح**، 354/1.

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت: 711 هـ)، **لسان العرب**، 15مج، دار صادر، بيروت، ط1، 329/7.

[4] العقل، العقل ناصر عبد الكريم (معاصر) **الاتجاهات العقلانية الحديثة**، دار الفضــيلة، الســعودية ط1 1422هـــ - 2001م (رسالة جامعية) ص15.

[5] العلمانية هي:التي دعت إلى فصل الدين عن الحياة، وعن الدولة وعن العلم.../ الجهني، مانع، (معاصــر) **الموســوعة الميسرة في الأديان والمذهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالميّة ص 164.

وبهذا فيمكن إجمال القول بأنّ العقلانيّة هي الاتجاهات التي تقدم العقــل علـــى النّقــل وتجعل العقل مصدراً من مصادر الدّين"[3].

ومن الملاحظ أنّ أتباع المدرسة العقليّة الحديثة حاولوا إقحام العقل في مجالات لا يصلح لها، وأحياناً يقدّمونه على نصوص الوحي عند التعارض، مع ملاحظة أنّهم ليسوا علـــى درجـــة واحدةفي هذا؛ بل هم متفاوتون فمنهم المحسوب على الدعاة، ومنهم المحسوب على المثقّفــين، ومنهم العلماني والحداثي. ولكنّهم يلتقون في تقديم العقل على النّقل في بعض الأمور.

ويعرّف الباحث يوسف الخلايلة المدرسة العقليّة بأنّها: " حركة دينيّة فكريّة ظهرت فـــي العصر الحديث تدعو إلى الاجتهاد والتجديد، وأعطت العقل الحريّة في تأويل وتفســير بعــض الحقائق الشرعيّة إلى معانٍ تتوافق وتطورات العصر الحديث، ولم تعهد عند السابقين مـــن قبــل وسمّيت المدرسة العقليّة الحديثة؛ لأنّها تقابل المدرسة العقليّة القديمة (المعتزلة)"[4].

واعتباره إياها حركة دينيّة غير دقيق فهي ليست حركة بتنظيماتها، فهــم متفـــاوتون لا يجتمعون على منهج موحّد يجمعهم، بل لديهم تفسيرات وآراء مختلفة. وإن كانوا يشتركون فـــي تقديم العقل على النّقل، فمن العقلانيّين من ينطلق من علمانية أو حداثـــة أوغيرهمـــا وليســـت منطلقاته دينية. ومنهم من انطلق انطلاقاً دينياً، فتأوّل تأويلاً ظنّ أنّه الحق فاخطأ.

وكذا جانب الخلايلة الصواب في اعتباره المدرسة العقلانيّة الحديثة تتوافق وتطـــورات العصر بهذا العموم إذ هم متفاوتون مختلفون. ثمّ موافقة تطـــورات العصـــر منهـــا الممـــدوح والمذموم؛ فلا بدّ من بيان ذلك وتفصيله.

---

[1] الحداثة هي: حركة فكرية، لخدمة التغريب، وصرف العرب عن عقيدتهم ولغتهم الفصحى.. لغة القرآن الكريم، المصدر السابق، ص164.

[2] العصرانية هي: التي تريد من الدين أن يساير العصر ويخضع له.العق **الاتجاهات العقلانية الحديثة** ص20.

[3] انظر: المصدر السابق، ص16و17.

[4] الخلايلة، يوسف أحمد حسين (معاصر) **ملامح المدرسة العقليّة الحديثة فـــي تفســـير الـــدكتور عبـــد الله شـــحاته** 2007/8م، ص19 (رسالة ماجستير الجامعة الاردنيّة).

ومن التعريفات ما قاله مانع الجهنيّ: "العقلانيّة مذهباً فكريّاً يزعم أنّه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستقلال العقليّ بدون الاستناد إلى الوحي الإلهـــيّ، أو التجربة البشريّة، وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباتـــه أو نفيـــه أو تحديـــد خصائصه"[1].

وهنا اعتبرها مانع الجهني مذهباً فكريّاً، فهي ليست مذهباً كالمذاهب الفقهيّة ولكن كمـــا ذكرت تختلف منطلقاتهم، ولكنهم يجمعهم تقديم العقل على االنّقل.

وهكذا أجد أن التعريف المختار أنّ العقلانيّة: مجموعة يتفقون على أصل تقـــديم العقـــل على النّقل عند التعارض، ولكنهم يختلفون في منطلقاتهم؛ فقد قلّد بعضهم اتجاهات غربيّة ومنهم من انطلق من منطلقات دينيّة ظنّ أنّها الحق فاخطأ في الفهم. فهم مناهج متعـــددة فـــي مدرســـة واحدة وليسوا سواء، والله أعلم.

[1] الجهني، مانع بن حماد (معاصر)، **الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالميـــة، الرياض، ط3 1418 هـــ ص806.

الفصل الأوّل

من هم العقلانيون؟؟

المبحث الأول: المدرسة العقلانيّة الحديثة وارتباطها بالعقلانييّن القدماء

المبحث الثاني: التعريف بمؤسسي المدرسة العقليّة الحديثة ورجالها

تمهيد

في هذا الفصل أبيّن جذور المدرسة العقليّة الحديثة وارتباطها بالعقلانيّين القدماء، وكيف بدأ هؤلاء وانتشروا، وكيف تأثر قسم منهم بالغرب وأفكاره، وقسم آخر له توجُّهُه الفردي وقسم ثالث تعصب لفكرة هي جعل العقل هو الأساس.

ثمّ عرجت في هذا الفصل على أهمّ الأسباب التي أدّت إلى تشكّل هذه المدرسة العقليّة الحديثة.

فاضطراب الحالة السياسيّة في أواخر الدولة العثمانيّة وتقليد الغرب والتأثر بالمستشرقين وغيرها من العوامل كانت أسباباً رئيسة في ظهور المدرسة العقليّة الحديثة.

وأبدأ الآن بتفصيلات الفصل الأوّل الذي يتضمن مبحثين اثنين:

الأوّل: المدرسة العقلانيّة الحديثة وارتباطها بالعقلانيّين القدماء وتأريخها.

الثاني: التعريف بأبرز روّاد المدرسة العقليّة الحديثة.

المبحث الأوّل

المدرسة العقلانيّة الحديثة وارتباطها بالعقلانيّين القدماء وتأريخها

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: الجذور والنشأة[1]

انتشر المعتزلة أيام المأمون والمعتصم والواثق، وكان لهم سلطة وكلمة، ونشروا معتقداتهم الباطلة، وقعّدوا قواعدهم وحملوا النّاس على القول بأقوالهم، ودخلوا بمنطقهم الفصيح وعباراتهم البليغة إلى عقول بعض النّاس وجرى بسببهم محنة عظيمة، فامتلأت السجون، وقتل بعض العلماء من أهل السنّة.

وبعد عهد المأمون والمعتصم والواثق جاء المتوكّ فنشر السنّة، وحارب البدعة، وقمع المعتزلة ولله الحمد والمنّة فأفل نجمهم ولم يجرؤ أحد منهم على الجهر ببدعته وانتصر أهل الحديث، ولم يسترد المعتزلة سلطتهم بعد ذلك، ولم تزل علومهم العقليّة المجردة عن النّصوص في خمود وقد وجد جماعة من الفلاسفة، اهتموا بالعقل وقدّموه على النّصوص، ولكن هناك جملة فروق بينهم وبين المعتزلة[2].

هكذا كانت قوّة المعتزلة الذين من صلب منهجهم أنّ العقل مقدّم على النّقل؛ فرسخوا هذا الفهم السيّئ بسلطتهم التي تغلغلت في أنحاء دولة الإسلام، وامتحن النّاس بفتنة خلق القرآن، وانتشرت هذه البدعة بوقوف المأمون والمعتصم معهم، ثم أوقفت الفتنة لمّا انتشرت السنّة زمن المتوكّ رحمه الله.

ولمّا انتهت دولة الاعتزال القديمة لم ينته الاهتمام بالعقل بشتى صوره؛ بل بقي الاهتمام المحمود بالعقل فانتشر التقدم العلمي، ومرت الأيام والسنون والعالم الإسلامي يتقدّم علميّاً وجاءت الحملات الصليبية وهجمات المغول وسقوط الدولة العباسية، وقتل الكثير من العلماء، ورميت الكتب في نهر دجلة؛ فأدّى ذلك وغيره إلى ضعف العالم الإسلامي، وانتقال الحضارة

---

[1] انظر: الرومي، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** 66/1-70 ملخصاً بتصرف.

[2] بينهما اختلاف، فإن للمعتزلة أصولاً خمسة بنوا عليها مذهبهم، لا تعرف هذه الأصول عند الفلاسفة.

العلميّة إلى أوروبا التي بدأت شيئاً فشيئاً، بالزحف على العالم الإسلامي واحتلت أرضه، وسيطرت على ثرواته، فالعالم النصرانيّ في أوروبا كان يتخبط في ظلمات الجهل؛ فقد سيطرت الكنيسة على العقول؛ وحجرت على العلماء أن يفكروا، وأن يتكلموا بما يرون أنّه العلم، فلاحقتهم الكنيسة بالقتل والتعذيب، ومحاكم التفتيش شاهدة على ذلك؛ فثار النّاس على الكنيسة، وعلى دين الكنيسة ومعتقداتها، ثمّ جاءت النهضة العلميّة في الغرب، في حين كان العلم في الشرق في انكماش وتراجع، وبدأت الأفكار الخبيثة والثقافة الأوروبيّة تروّج، وأوهموا النّاس أنّ حالة العالم الإسلامي تشبه حالة أوروبا في العصور الوسطى، ولن ينهض إلا بما نهضت به أوروبا، من فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية، وبذلك يتحقق له ما تحقق للأوربيين.

وهال الأمر علماء المسلمين وذهبوا للرد على تلك الأفكار مذاهب شتّى، وحاولت فئة منهم التوفيق بين الدين والعلم والعقل بشكل سلبي وهو تقديم العقل على النّقل، وأنّه دين العقل والحرية والفكر، فنشروا بين النّاس ذلك المنهج وبيّنت أن ليس في الإسلام ما لايقره العقل وحاولت تفسير القرآن على هذا المنهج وهذا الأساس.

وكان لهذه المدرسة العقليّة رجال كان لهم نشاط واسع في نشر هذه الثقافة ومكافحة الاستعمار ومقاومة الهجوم على الدّين وإلقاء التبعيّة عليه في التخلف الحضاريّ.

وكان من رجال هذه المدرسة وأبرز روّادها في العصر الحاضر جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمّد عبده وتلاميذه وغيرهم كثير. وسمّيت نهضتهم هذه بالنهضة الإصلاحيّة وكان لهذه المدرسة آراء وشطحات كثيرة ما كانوا ليقعوا فيها لولا مبالغتهم الشديدة في تحكيم العقل في أمور الدّين.

لقد بالغ أصحاب هذه المدرسة في دور العقل، وتجاوزوا الحد في تقدير قيمته، فجانسوا في بعض الجوانب المعتزلة الذين كان من أصولهم تقديم العقل على النّقل.

ولا بد من إلقاء الضوء على المدرسة العقلانيّة الحديثة حتى يلاحظ أوجه التجانس والشبه بينهم وبين المعتزلة.

يقول محمد الشويعر:

"لمّا بدأت العلوم بمعارفها المختلفة، تفد على ديار الإسلام، كانت حسب قاعدتها الأساسية في نبعها -ترتكز على طرح الشبهات بالمنظور العقليّ، مع إبعاد الدليل الشرعي، وكثرت الأسئلة عن الأمور الغيبيّة، وما يتعلق بصفات الله سبحانه، مع تأويلات الدلالة اللفظيّة واللغويّة، الأمـــر الذي فتح باب الجدل على مصراعيه، وأتاح الفرصة لأصحاب الأهـــواء...فنشـــأت المـــذاهب، وتكاثرت الشبهات، وتقوّل المتقولون. ونجم عن ذلك التعصب لمـــنهج معـــين، أو رأي بذاتـــه، واتسعت الدائرة لتبدأ المدارس العقليّة في تاريخ الإسلام، التي يذكر بعضهم بـــدأها مـــع توســـع الترجمة، من علوم الأمم الأخرى كاليونانية وغيرها. وكل وافد جاء فكره معه"[1].

المطلب الثاني: الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور المدرسة العقليّة الحديثة

إنّ أي اتجاه فكري لا بد له من دوافع ومؤثرات تؤدي إلى ظهوره إلى حيـــز الوجـــود، وهذه الدوافع قد تكون داخليّة وقد تكون خارجيّة، فهناك جملة من الدوافع أدّت إلى ظهور هـــذه المدرسة:

1 - اضطراب الحالة السياسيّة والاجتماعيّة للبلاد العربيّة والإسلامية أواخر القرن الثامن عشـــر الميلادي؛ فكانت تتسم بالفوضى وانعدام الأمن وعدم الاستقرار، وضعف الدولـــة العثمانيّـــة؛ فقامت الدول الغربيّة تتسابق في تقاسم الثروات[2]؛ فكانت الحملة الفرنسية علـــى مصـــر؛ أوّل احتلال غربي في العصر الحديث له أثره الحضاري والفكري على العالم الإسلامي[3]

فنتج عن هذا الاحتلال من يتصدى له، فقامت اتجاهات حاربت الاستعمار ومن تلك الاتجاهات المدرسة العقلانيّة الحديثة.

2 - يقول مفرح القوسي:" التقدم العلمي في الغرب أسهم في ردة فعل عنـــد الشـــعوب العربيّـــة بضرورة الأخذ بأساليب الحضارة الغربيّة في التعليم والتطور، وهذا بدوره يحتاج إلى النّقـــل

---

[1] الشويعر محمد بن سعد، (معاصر)، **وقفات مع كتاب دين الله واحد ونقد المدرسة الفكرية المعاصرة**، دار الفتح، الشارقة، ط1، 1417هـ- 1996م ص52.

[2] انظر: الخلايلة، **ملامح المدرسة العقليّة الحديثة في تفسير الدكتور عبد الله شحاته**، ص33 -46.

[3] الرومي، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** ص69.

والاقتباس من الغرب؛ فنشأت الترجمة والتعريب، فأخذوا بالمناهج الغربيّة في التدريس، وكان ذلك عن طريق:

أ - إرسال البعثات إلى أوروبا من أجل التعليم واقتباس الحضارة الغربيّة في عدة مجالات.

ب - فتح المدارس و المعاهد العلميّة، واستقدام الخبراء والمدرسين الغربييّن للتدريس فيها"[1].

3 - دراسات المستشرقين يقول عادل زكي:" فقد كان لهذه الدراسات الأثر الفاعل في التــراث الإسلامي في العصر الحديث، يظهر ذلك في فكر عدد من المثقفين والمفكرين الذين تتلمذوا وللأسف على أيدي المستشرقين"[2].

فكانت النتيجة ظهور تيارين: تيار تغريب يدعو إلى نقلة كاملة إلى الصورة الغربيّــة وتيــار وسط يقتبس ويمزج بين القديم والحديث المتطور ليوافق الحضارة الغربيّة، وتقريــب مفهــوم الدّين إلى الحضارة الغربيّة عن طريق تجديد الفكر وإفساح المجال للعقل في تفسير الأحكــام الشرعيّة ونبذ التقليد، ومن ثم التلاؤم بين العلم والدّين... تيار الوسط هــذا يمثلــه أصــحاب المدرسة العقليّة الحديثة ولقد ردوا على شبهات للمستشرقين؛ ولكن وقعوا فيما وقعوا فيه من الزلل والبعد عن المنهج الصحيح[3].

فهذه الأسباب الرئيسة التي كانت دافعاً لنشأة وظهور وتشكل المدرسة العقلانيّة الحديثة.

فاضطراب الحالة السياسيّة يوجد جواً من الفوضى، فيقل ضبط استيراد الأفكــار، وأمّــا ردة الفعل التي تنشأ من غير ضوابط صحيحة فتكون لها نتائج عكسيّة سيئة، وأمّا المستشــرقون فخطرهم في التلبيس على العوام وضعاف العلم كبير.

---

[1] القوسي، مفرح بن سليمان (معاصر) **الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد**، مركز الملك فيصــل للبحــوث والدراسات الإسلاميّة، ط1 1418 هــ - 1997م، ص375.

[2] زكي، **المهدي دولة الإسلام القادمة**، ص268.

[3] انظر: حسين، محمد محمد، (معاصر)، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، مؤسسة الرســالة، لبنــان، ط5، 1402 هــ - 1982م، 1/ 357.

ولا بد من العلم أن الكتّاب والمثقّفين والمفكّرين وأصحاب المدرسة العقلانيّة الحديثة عموماً لم يكونوا على درجة واحدة من التأثر بالغرب وأفكاره: فمنهم العلمانيّ ومنهم الحريص على مصلحة المسلمين والمدافع عن الإسلام ولكن وقع في انحراف ظنّ أنّه الحق.

ولكن عند مقارنتنا بين القسم الذي يقدّم العقل على النّصوص في المدرسة العقليّة الحديثة نجده يقلّد المعتزلة فقد اتفقت المدرستان العقليّة القديمة والحديثة على المبالغة في دور العقل، وتقديمه على نصوص الشرع عند التعارض.

ويُلاحظ تصريح أحد أئمّة المدرسة العقليّة القديمة بتقديم العقل على القرآن والسنّة والإجماع وهو القاضي عبد الجبّار الذي يقو :

"إن الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنّة، والإجماع"[1].

فإنّه قدّم العقل على الكتاب والسنّة والإجماع.

وممّا ينبغي التذكير به دائماً أنّ العقل أمر نسبيّ، يختلف من شخص لآخر، وكذلك علوم البشر نسبيّة تختلف من شخص لشخص، ومن زمن لزمن، أمّا نصوص الشرع القطعية فتمتاز بأنّها مطلقة معصومة، لأنّها كلام العليم الخبير الذي أحاط بكل شيء علماً؛ فكيف يقدّم النسبيّ على المطلق المعصوم.

---

[1] الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد (ت:415 هـ)، **شرح الأصول الخمسة** 1مج، تعليق أحمد بن أبي هاشم، حققه: عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة، مصر، ط3 1416 هـ - 1996م، ص88.

المبحث الثاني

التعريف بأبرز روّاد المدرسة العقليّة الحديثة

ومع الإقرار بأنّ المدرسة العقليّة الحديثة مشارب شتى، وأفكار متنوعة، فلا بد من استعراضٍ سريعٍ لأبرز روّاد هذه المدرسة.

ومن أبرز الأسماء التي تعرض في هذا المجال: جمال الدّين الأفغاني وتلميذه محمّد عبده اللذان أسسا مجلة العروة الوثقى. وريادتهم للمدرسة لا يعني موافقتهم على أفكار العلمانيّة التي تسترت بهم، إنّما وافقهم وتتلمذ على أيديهم علمانيّون خالفوا المدرسة في كثير من أفكاره والتقوا على تقديم العقل على النّقل بتفاوت.

أولاً: (محمد بن صفدر الحسيني: جمال الدين الأفغاني 1254هـ -1315 هـ)[1]

"ولد في أسعد آباد بأفغانستان ونشأ بكابل رحل إلى الهند ومصر والأستانة وباريس وروسيا وألمانيا وإيران ولندن، ومات بالأستانة. من مؤلفاته تاريخ الأفغان والرد على الدهريين وغيرهما"[2].

هو شخصيّة مشهورة، دار حولها جدل كبير، له نشاط واسع، وتلاميذ مشهورون، وله منهج عقلانيّ، تأثر به كثيرون بعده[3].

للأفغاني من المؤلفات: رسالة في الرد على الدهريين. وتتمة البيان، وهي رسالة في تاريخ الأفغان، والمقالات التي كانت تنشر في مجلة «العروة الوثقى». وقد جمعت آثاره، وطبعت في القاهرة سنة 1968م. وأقيمت على الأفغاني دراسات ضافية[4].

ثانياً: (محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، 1266 هـ - 1323 هـ)[5]

---

[1] الزركلي،خير الدين، (ت: 1396 هـ) **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط11 1995م 168/6.

[2] انظر المصدر السابق، 168/6 - 169.

[3] انظر: عبد الرزاق، مصطفى، **العروة الوثقى**، الأفغاني جمال الدّين وعبده محمّد، دار الكتاب العربي، لبنان ط2، 1400 هـ - 1980م، ص17 - 27 والكلام للمعتني بالمجلة..

[4] **الموسوعة العربيّة**، على هذا الرابط : www.arab-ency.comK

[5] الزركلي، **الأعلام** 252/6.

ولد في شنرا في قرى الغربيّة بمصر تعلّم بالجامع الأحمدي بطنطا، شارك في مناصرة الثورة العرابيّة، ثمّ نفي إلى بلاد الشام، سافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدّين الأفغاني جريدة العروة الوثقى ثمّ عاد لبيروت، وبعدها سمح له بدخول مصر ورقي في الوظائف إلى أن عيّن مفتياً للديار المصرية، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القــاهرة، لــه مؤلفات كثيرة منها رسالة التوحيد الإسلام والرد على منتقديه وغيرهما[1].

شخصيّة مصريّة لها صيت ذائع، ومشاركة في علوم شتّى، منهــا التفســير والبلاغــة، والفقه.كانت له انتقادات كثيرة في عدة مجالات منها:

يقول الدكتور محمد محمّد حسين: "واتجه محمّد عبده بعد عودته من المنفى إلى التقريب بين الإسلام وبين الحضارة الغربية واتخذ اتجاهه هذا أشكالاً مختلفة فظهر أحيانا فــي صــورة مقالات أو مشاريع أو برامج تدعو إلى إدخال العلوم العصريّة في الجامع الأزهر وظهر تــارة أخرى في صورة تفسير لنصوص الدّين من قرآن أو حديث، يخالف ما جرى عليه السلف فــي تفسيرها، ليقرب بها إلى أقصى ما تحتمله - بل إلى أكثر مما تحتمله في بعض الأحيــان - مــن قرب لقيم الغرب وتفكيره، لكي يصل آخر الأمر إلى أن الإسلام يساير حضارة الغرب ويتفق مع أساليب تفكيره ومذاهبه"[2].

ومن أكبر تلاميذ محمّد عبده وأكثر من اعتنى ونشر كتبه ورسائله تلميذه: محمّد رشــيد رضا الذي لازمه لسنوات طويلة وأخذ منه الكثير.

ثالثاً: (محمّد رشيد بن علي رضا بن محمّد شمس الدّين القلموني، البغدادي الأصــل، الحسيني النسب،1282 هـ -1354 هـ).

---

[1] الزركلي، **الأعلام** 252/6.

[2] حسين، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** 1/ 337.

ولد في قرية القلمون بمحافظة طرابلس الشام في لبنان حالياً وقد كان تلميــذاً لمحمــد عبده، وقد أسس مجلة المنار ويظهر تأثره بالاتجاه العقلانيّ في مسائل محدودة وبعد وفاة شيخه تراجع عن عدة مسائل وتمسك بالسنّة أكثر، طاف بلدانا شتى عربيّة وأوروبيّة.[1]

انتخب رئيسا للمؤتمر السوري أنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد استقر بمصر ومات فجـأة في سيارة كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة ودفن بالقاهرة من مؤلفاته: تفســير القــرآن الحكيم والوحي المحمدي وغيرهما[2].

رابعاً: (عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، ويلقب بالسيد الفراتي، 1265 هـ - 1320 هـ).

ولد وتعلّم في حلب وأنشأ فيها جريدة الشهباء فأقفلتهــا الحكومــة وجريــدة الاعتــدال فعطّلت وأسندت إليه مناصب عديدة رحل إلى مصر وبلاد العرب، وشرق افريقيــة وبــلاد الهند، واستقر في القاهرة إلى إن توفي، من مؤلفاته: أمّ القرى وطبائع الاستبداد[3].

يقول محمد عمارة:"..نادى بالعروبة والقوميّة وبالثورات ضد العثمانيّين، وطاف بلــداناً شتى، وقيل مات مسموماً "[4].

خامساً: (عبد العزيز بن خليل جاويش 1293 هـ -1347 هـ).

تونسي الأصل، ولد بالإسكندرية وتعلّم بالأزهر ودار العلوم، واختيــر أســتاذاً لــلأدب العربي في جامعة كمبردج، وعاد إلى مصر، فاشتغل مدرساً فمفتشاً للغة العربيّة فــي مــدارس الحكومة. تولى تحرير جريدة اللواء، رحل إلى الأستانة، فأصدر جريدة الهلال، فمجلة الهدايــة،

---

[1] انظر: أسود، محمد عبد الرزّاق، (معاصر)، **الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبويّة في مصر وبلاد الشــام**، دار الكلم الطيّب، دمشق، ط1 1429 هـ - 2008م ص 479 - 480.

[2] انظر: الزركلي، **الأعلام**، 126/6.

[3] انظر: المصدر السابق 298/3.

[4] عمارة، محمد (معاصر) **عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحريّة ومجــدد الإســلام**، دار الوحــدة، لبنــان، ط1 1984م، المقدمة.

ثمّ مجلة العالم الإسلامي، توفي بالقاهرة، من مؤلفاته: أثر القرآن الكـريم فـي تحريـر الفكـر البشري والاسلام دين الفطرة[1].

يقول محمّد محمّد حسين: "وتابع عبد العزيز جاويش أستاذه الشيخ محمّـد عبـده فـي منهجه، فأنشأ مجلة (الهداية) سنة 1910م. وأخذ يفسر فيها القرآن على أسـلوب شـيخه، فـي تقريب الإسلام من قيم العصر وثقافته، التي هي في حقيقة أمرها مسـتمدة مـن قـيم الغـرب وثقافته... أمّا ما كان ينشر في المجلة من مقالات إسلاميّة فبعضه يستهدف تقريب الـدّين مـن الثقافة الغربية الحديثة. وبعضه يستهدف تقريبه من المدنية الغربيّة ليطابق أنماط الحياة السـائدة "[2].

سادساً: (رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي 1216 هـ - 1290 هـ).

ولد في طهطا، وقصد القاهرة، فتعلّم في الأزهر، أرسلته الحكومـة المصـرية إمامـاً للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أوربة لتلقي العلوم الحديثة، فـدرس الفرنسـيّة وثقّف الجغرافية والتاريخ. ولمّا عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبيّة، وأنشـأ جريدة الوقائع المصرية، توفي بالقاهرة، من مؤلفاته: جغرافية بلاد الشـام والمعـادن النافعـة وغيرهما[3].

كان يردد أفكار المدرسة العقليّة الحديثة حتى أثنـى! عليـه محمـد عمـارة! بقولـه: "فالطهطاوي، ومدرسته، قد انتقلوا بالأمّة وبالأحرى بطلائعها المثقفة، "وبالدولة" من العصور المظلمة " المملوكيّة والعثمانيّة" إلى رحاب عصر النهضة واليقظة والتنوير"[4].

---

[1] الزركلي، **الاعلام** 17/4.

[2] حسين، **الاتجاهات الوطنية** 1/ 357.

[3] الزركلي، **الاعلام** 29/3.

[4] عمارة، محمد (معاصر) **التراث في ضوء العقل**، بيروت، ط1 1980م، ص198.

الفصل الثاني

خطأ العقلانيين

وبيان عدم تعارض العقل والنقل

المبحث الأوّل: من أسباب خطأ العقلانيّين

المبحث الثاني: درء تعارض العقل والنّقل

المبحث الأوّل

من أسباب خطأ العقلانيّين

من الأسباب الظاهرة لخطأ المدرسة العقليّة الحديثة الجهل بأهميّة النّصوص والجهل بخطورة تقديم الهوى والعقل على الوحي، وإقحام العقل في غير مجاله، والانبهار بما عند الغرب من التقدم العلميّ، ثمّ الهزيمة النفسيّة، والسعي للتوفيق بين المادية الغربيّة والإسلام، والوقوع في حبائل الاستشراق، ولو بدون قصد، وأسباب كثيرة وقع فيها أو في بعضها أفراد كثر من المدرسة العقلانيّة الحديثة، وفيما يأتي عرض لهذه الأسباب:

المطلب الأوّل: تقديم العقل على النّقل

من المعلوم والثابت لدى المؤمن الحق: أنّ أمور العقيدة الإسلاميّة لا طريق إلى معرفتها إلا من خلال الكتاب والسنّة؛ فلا ينبغي أن نجعل العقل مصدراً نستقي منه العقيدة لأنّ العقل له حدود لا يتخطاها، ومتى تجاوزها سبح في الخيال والوهم الكاذب، ولا يصلح الوهم ولا الخيال أساساً لمعرفة العقيدة. جنوح العقل عن المهمة التي حددت له يعني شرود العبد عن الصراط المستقيم[1].

قال شيخ الاسلام مصطفى صبري: " إنّ العقل السليم يقبل المعجزات ويحكم بإمكانها، أمّا العقل الرافض لها فهو العقل المعلول بداء علم الغرب الماديّ، والمقيّد بالحس والتجربة، مع أنّ التجربة ليس من حقها أن تحكم باستحالة وقوع المعجزات؛ لأنّ جميع الأحكام الصادرة عنها ليست قطعيّة مستحيلة التغيير بل هي أحكام ظنيّة"[2].

والإيمان الحق بأنّ الله قادر على كل شيء، يستدعي أن نسلّم التسليم المطلق بكل المعجزات وخوارق العادات وكل أمر غيبيّ، فهو سبحانه مدبر أمر السماوات والأرض لا

---

[1] عبد المقصود، السيد (معاصر)، **فصل المقال في رفع عيسى صلى الله عليه وسلم حيا ونزوله وقتله للدجال**، لمحمّد خليل هراس، ص3.

[2] القوسي، **الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد**، ص447.

يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ ثم إنّ إيماننا ومحبتنا لنبينا صلى الله عليه وسلم كل ذلك يدعونا إلى التسليم لقوله عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

وممّا يلاحظ طبيعة كلام العقلانيّين حول العق ، رفعهم لمنزلته، وتعظيمهم إياه فهذا الكواكبي يغلو في مدحه للعقل، بل ويدعو لعدم رفع شيء فوق العقل.

يقول عبد الرحمن الكواكبي: " الإسلام دين الفطرة... وهو مبني على العقل المحض،... والقرآن لا يكلف الإنسان الإذعان لشيء فوق العقل، بل يحذره وينهاه عن الإيمان اتباعاً لرأي الغير، أو تقليداً للآباء" [1].

والذين يقولون أن العقائد يمكن أن تثبت بالعقل وحده مؤدى كلامهم أن الله تعالى يمكن أن يعذب أحداً قبل إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل، وهذا مخالف لصريح القرآن ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ {الإسراء: ١٥ }"[2].

يقول صاحب العقيدة الطحاوية:" ولا شك أن من لم يسلّم للرسول نقصَ توحيدُه فإنّه يقول برأيه وهواه ويقلدُ ذا رأي وهوى بغير هُدى الله فينقصُ من توحيده بقدر خروجِه عما جاء به الرسول..."[3].

المطلب الثاني: التأثر بحضارة الغرب والافتتان بفلسفتها الماديّة:

لقد وجد من ضعاف الإيمان من ينشد حضارة الغرب، ويثني على ثقافتهم ويأخذ منها بل ويدعو إلى ذلك وينشره فهذا أسهم بشكل كبير في ضعف التمسك بالهدي الصحيح، والنظر إلى ما في أيدي الغير بدون تمحيص ولا تدقيق.

[1] عمارة، **عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحريّة ومجدد الإسلام**، ص117.

[2] زكي المهدي، ص271.

[3] الحنفيّ، ابن أبي العز صدر الدين علي بن محمد الحنفيّ، (ت: 792هـ) **العقيدة الطحاوية**، تحقيق أحمد بن علي دار الحديث القاهرة ط1 1421هـ- 2000م ص145.

وقد نبه الشيخ مصطفى صبري إلى أنّ العقلانيّين في اتجاههم إلى إنكار الأمور الغيبيّة، مقلّدون لعلماء الغرب الماديّين الذين لا يعترفون إلا بالمشاهد المحسوس[1].

قد وجد في عالمنا الإسلامي الكثير من المفكرين والكتّاب والمثقفين المسلمين الذين انبهروا بالحضارة الغربيّة الحديثة وافتتنوا... بفلسفتها الماديّة وبمنهجها الماديّ الحسيّ... وأنكروا في سبيل ذلك بعض الأخبار والنّصوص الصحيحة أو عمدوا إلى تأويلها تأويلاً يبعدها عن ظاهر النّص، ووصفوا بعض القضايا الغيبية برموز وأوصاف هي إلى الإنكار أقرب منها إلى الإثبات ثمّ تكونت منه مدرسة فكريّة حديثة، لها آراء وشطحات، لا شك أنّها من آثار سيطرة الفلسفة الماديّة الغربيّة على تفكير رجالها وعلى دراساتهم وأبحاثهم، ولا سيما فيما يتعلق بقضايا الغيب والنّبوات والمعجزات[2].

المطلب الثالث: التأويل الفاسد

إنّ من أعظم أسباب الانحراف التأويل الفاسد للنّص بأنواعه، ولقد كثرت المؤلفات في نبذ التأويل الفاسد وبيان خطره ومضاره على الأمّة.

وقد ذكر الدرديري خطأ التأويلات الفاسدة وشرحها وسألخصها في نقاط:

1 - إنّ التأويلات الفاسدة أثرت على الأمّة سلباً ولها مخاطر عظيمة، ولا شك أن تأويل النّص بما لا يحتمل وما لا تحتمله اللغة ولا القواعد العلميّة الشرعيّة، مفسد للفهم ومشكل في التطبيق، ولا بد من نقض التأويل الفاسد وبيان فساده وبطلانه.

2 - إنّ من الانحراف عدم الاعتماد على الدليل.

3 - مخالفة المعاني الفاسدة للأصول وللقواعد اللغوية.

4 - التناقض في الأقوال وعدم الانضباط بالقواعد.

---

[1] انظر: القوسي، **الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد**، ص 439.

[2] المصدر السابق، ص375 - 377.

5 - التأويل الفاسد يلزم منه الانتقاص من خير القرون؛ فالصحابة أمسكوا عــن هــذا التأويــل والقول بهذا التأويل قدح في الصحابة.

6 - التأويل الفاسد لا يجوز شرعاً، ولا يستســاغ عقــلاً أن يعــارض كــلام الخــالق العلــيم بالمصطلحات التي وضعها المخلوق الجاهل الضعيف[1].

وممّا يلاحظ أنّ التأويل الفاسد يفتح باب الجرأة على الكتــاب والســنّة، ويــؤدي إلــى الفوضى وتفريق الأمّة بدعوات باطلة منها حرية الفكر، وأيضاً فالتأويل الفاسد يؤدي إلى عــدم المبالاة بالتكاليف الشرعيّة، ويؤدي إلى فتور الهمم وإنّ من أعظم أسباب تحريف معاني القــرآن الكريم تقديم العقل على النّقل[2].

---

[1] انظر: الدرديري، محمد، (معاصر) **التأويل الفاسد وأثره السيئ على الأمّة**، مكتبة أولاد الشيخ للتــراث، ط1 2003م، ص 53 -55. بتصرف يسير.

[2] انظر: المصدر السابق، ص84و86و119.

المبحث الثاني

درء تعارض العقل والنّقل

اهتمّ الإسلام بالعقل؛ فوجه إليه الخطاب؛ لأنّه آلة الفهم والمعرفة، فهو مناط التكليف، أحكام الإسلام معقولة جاء معظمها معللاً بعلل يدرك العقل حكمتها، وكونها لصالح الإنسان حاضره ومستقبله؛ وليس هناك تنافر وتضاد بين العقل السليم والنّقل الصحيح.

والعقل الذي يستطيع أن يؤدي وظيفته على أكمل وجه هو الذي يبتعد عن الانحراف الفكريّ ويتجرد عن الهوى والتقليد الأعمى، ولا ينجر نحو الانحراف والزيغ، وفي سبيل تقويم العقل وضبط مساره فقد حث الإسلام على التفكر والتدبر والتبصر ونهى عن التقليد الأعمى[1].

وقد أنار الإسلام الطريق للعق وبين له مساره المأمون، ومجاله الذي يعمل فيه بسلام: إنّه النظر في آيات الله في الكون لتعظيم الله تبارك وتعالى، من أجل تحقيق الغاية من خلق الإنسان وهي عبادة الله وحده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ {يونس: 101 }.

ومهمّة أخرى للعقل: هي فهم نصوص الوحي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾{ ص: 29 }.

أمّا الغيب فليس للعقل طريق إلى معرفته إلا طريق الوحي وإذا اقتحم العقل مجال الغيب فلن يأتي إلا بالتخبط والضلال والضياع فالعقل ليس له سبيل إلى الغيب إلا بالوحي، فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعلم ما في غده فكيف بالمستقبل البعيد يخوض فيه بعقله !

ومن ذلك الغيب المتعلق بالساعة وعلاماتها فلا يعلمها إلا الله الذي قدّرها فيجب الإيمان بها والتسليم لعلّام الغيوب سبحانه وتعالى.

---

[1] انظر: الأمين، **موقف المدرسة العقلية من السنّة النبوية**، ص55-56 (رسالة جامعية) بتصرف.

فإنّ من المسلّمات التي لا تقبل الشك وجوب الاحتجاج بــالقرآن والســنّة الصــحيحة وتقديمهما على كل قول، ولقد دأب على ذلك السلف الصالحون والأئمّة المهديّون.

إنّ" بعض الفرق الإسلاميّة كالمعتزلة والفلاسفة المتأثرين بالفلسفة اليونانيّة، نسبوا إلــى العقل من القدرة أكثر مما حدده له الشرع، أو وصفوه بصفات لم يأت بها الشرع"[1].

ولتوضيح دور العقل الحقيقي، وعدم الغلو فيه، مع عدم هضم حقه، ينبغي أن نعلــم أنّ" السلف الصالح رضوان الله عليهم كما يحتجون بصحيح المنقول فــي مســائل الاعتقــاد فــإنّهم يحتجون أيضاً بصريح المعقول الموافق لصحيح المنقول فإنّهما حجة الله تعالى على خلقه"[2].

وقد ألّف جمهرة من أهل العلم في حجيّة النّق وأنّه لا تعارض بين العقل والنّقل، ومــن أبرز هذه الكتب وأوسعها كتاب درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة.

وقد نقض علماؤنا هذا القول أنّ العقل مقدم على النّقل بجملة من الردود أذكر منها:

الأوّ : ما قاله الإمام ابن أبي العز الحنفيّ رحمه الله: " إذا تعارض العقل والنّقل وجــب تقديم النّقل، وتقديم العقل ممتنع لأنّ العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر بــه الرسول صلى الله عليه وسلم فلو أبطلنا النّقل لكنّا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقــل لم يصلح أن يكون معارضاً للنّقل...؛ فالواجب كمال التسليم للرسول صــلى الله عليــه وســلم والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً أو نحمله شبهة أو شكاً أو نقدّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نوحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل "[3].

---

[1] المنجد، صلاح الدين (معاصر) **العقل في القرآن والسنة** (كتيب) دار الكتاب الجديد، لبنان، ط2 1976م، ص59.

[2] أمير، جابر إدريس علي، (معاصر) **منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنّقل وأثر المنهجــين فــي العقيــدة** أضواء السلف، الرياض، ط1 1419 هـــ - 1998م، 95/1.

[3] ابن أبي العز الحنفيّ، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفيّة**، ص140.

الثاني: إنّ النّقل هو الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأخذ به وهو ما جاء عن طريق الرسل والله لا يعذب أحداً قبل بعثة الرسل؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾ {الإسراء: 15}.ويقول الله تعالى:﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ {النساء: 165 }.

فلو كان العقل كافياً كاملاً، لجعل الحجة به قائمة، ولكن الحجة لا تقوم إلا ببعثة الرسل، الذين يأتون بالحق المطلق، والحجج الواضحة.

الثالث: إنّ تقديم العقل على النّقل، زيادة على أنّه اتهام للشرع بالنّقص، فهو ظلم للعقل وإساءة إليه لأنّه تحميل له ما لا يطيق، ودفع له إلى التخليط، والوهم، والقول على الله بغير علم.

إنّ التقديم ليس فقط فيه القدح والإساءة للشرع وحده، إنّما فيه إساءة للعقل أيضا فالله عز وجل قد خلق العقل لغاية؛ فالشرع من عند الله وحده الذي يعلم ما ينفع العباد ولا يجوز أن نقحم العقل فيما لا مجال له فيه فمجاله فهم النّصوص لا ردّها.

وهل الدين ناقص حتى يؤتى بأصل العقل أنّه من مصادر التشريع ؟ لا. ليس ناقصاً ولا محتاجاً لغيره بل إنّه جاء مصدقاً ومؤيّداً للشرع لا معترضاً.

الرابع: أنّ الله تعالى قد أكمل الدّين وأتمّه، وهذا معناه أنّه غير مفتقر إلى غيره. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ ﴾ {المائدة: 3 }.

قال الإمام ابن القيّم رحمه الله: "إن الله سبحانه قد تمّم الدّين بنبيه صلى الله عليه وسلّم وأكمله به ولم يحوجه ولا أمته بعده إلى عقل"[1].

---

[1] ابن القيّم، **الصواعق المرسلة** 3/ 826.

فلا يحتاج إلى غير الكتاب والسنّة للتشريع والحكم؛ ففيهما العصمة من الغواية والبعد عن الضلال.

فالدّين كمل وهو محفوظ فلا يجوز الزيادة فيه ولا الإنقاص منه والله قد رضيه لنا دينا فالحمد لله وحده على نعمة الهداية لمنهج الحق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ {العنكبوت: 51 }.

ولا شك أنّ البعد عن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته يسبب الضنك في المعيشة والخسارة في الآخرة، والله عز وجل قد أوصى الأمّة أن تأخذ بالصراط المستقيم الذي رسمه وبيّنه النّبي محمد صلى الله عليه وسلم.

الخامس: أنّ تقديم العقل على النّقل هو خروج عن الصراط المستقيم، واتّباع السبل المفرّقة في الدّين؛ لأنّ العقل ليس عقلاً واحداً، بل عقول متفاوتة مختلفة، وما الضابط الذي يضبط العقول فهي متفاوتة ولا شك فعقل فلان يختلف عن عقل فلان فهذا بعقله سلّم لهذه المعجزة وأنت أوّلت ولذا فقد دعانا الله عز وجلّ إلى اتباع سبيله، وحذرنا من اتباع سبل الشيطان؛ فقال عز من قائل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ {الأنعام: 153 }.

يقول ابن القيّم رحمه الله: " إنّ المعقولات ليس لها ضابط يضبطها، ولا هي منحصرة في نوع معين"[1].

السادس: أنّ علوم الأنبياء وما جاءوا به عن الله لا يمكن أن يدرك بالعقل ولا يكتسب فكيف يدرك العقل أخبار الماضي، وكيف يعلم أنباء المستقبل، وكيف يحيط بعالم الجن والملائكة، وكيف يدرك ما يتعلق بصفات الله سبحانه،

---

[1] ابن القيّم، **الصواعق المرسلة** 1067/3.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ {الأنعام: 103}
أمّا الوحي فقد جاء بتفصيلات كثيرة ودقيقة فيما يتعلق بهذه الغيبيّات.

يقول ابن القيّم رحمه الله في الصواعق: " إنّ علوم الأنبياء وما جاءوا بــه عــن الله، لا يمكن أن يدرك بالعقل ولا يكتسب وإنّما هو وحي أوحاه الله إليهم"[1].

وقد وصف ابن القيّم هؤلاء العقلانيّين بقوله: "إنّ هؤلاء عكسوا شــرعة الله وحكمتــه وضادوه في أمره فإنّ الله سبحانه جعل الوحي إماماً والعقل مؤتماً به"[2].

فالعقل وظيفته فهم النّصوص فهماً صحيحاً والتدّبر في بديع صنع الله تبارك وتعالى، لا أن يجعل مثل النّص أو أن يقدم على النّص فهو يصدق ويسلّم لخبر النّص.

"خلاصة القول: إنّ نصوص الشريعة لا تتصادم مع العقل، بل تتوافق معه، فإن أغلــق على أحد منهم شيء منها، أو تعارضت لديه بعض النصوص، وجب عليه تقديم النقل الصــحيح على العقل، فالعقل قاصر مهما بلغ من العلم، ولا يقدّم بحال على كلام الله العليم الخبير، وكــلام رسوله النذير البشير"[3].

---

[1] ابن القيّم، **الصواعق المرسلة** 880/3.

[2] المصدر السابق 890/3.

[3] عبد الهادي، سامح عبد الإله (معاصر)، **الانحراف في فهم الحديث النبوي**، (دراسة تأصيليّة تطبيقيّة) دراســة جامعيّــة (ماجستير) النجاح، 2010م، ص 41.

الفصل الثالث

تفسيرات المدرسة العقليّة الحديثة لأشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: آيات اقتراب الساعة

المبحث الثاني: انشقاق القمر

المبحث الثالث: نزول عيسى - عليه السلام من السماء

المبحث الرابع: خروج يأجوج ومأجوج

المبحث الخامس: الدخان

المبحث السادس: طلوع الشمس من مغربها

المبحث السابع: الدّابة

المبحث الأوّل

آيات اقتراب الساعة

الآيات التي تدل على اقتراب الساعة ودنوها كثيرة متوافرة، والمؤمنون يعلمون أنّها الحق من ربهم وهم مشفقون منها، أمّا الكافرون فهم يستعجلون بها استهزاءً واستنكاراً كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾ {الشورى: 18}.

"والله سبحانه وتعالى بيّن أنّ أمره آت كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ {النّحل: 1}. فأخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبرًا بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة فهو قريب وسيقع قريباً بل لقربه كأنّه أتى. وقوله: ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ أي: قرب ما تباعد فلا تستعجلوه، فإنهم استعجلوه قبل كونه، استبعادًا وتكذيبًا"[1].

ومن الآيات التي تؤذن باقتراب الساعة ودنوها وغفلة النّاس عنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ {الأنبياء:1 }.

هذا تنبيه من الله، عز وجل، على اقتراب الساعة ودنوها، وأنّ النّاس في غفلة عنها، لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها.

وقوله ﴿ وهم في غفلة ﴾ دال على انغماسهم في غفلتهم من خلال انكبابهم على متاع الدنيا وشهواتها وزينتها وهذا تعجب من حالة النّاس، رغم أنّ الحساب قريب فإنّه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يصغون إلى نذير لأنّهم في غفلة معرضون، أي: غفلة عما خلقوا له، وإعراض عما زجروا به.

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 555/4، وانظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت:310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن.** 24مج. تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، لبنان مؤسسة الرسالة. ط1 1420هـ - 2000م، 17/ 162 وانظر: السعدي، **تفسير السعدي** 435/1.

وهذا أسلوب رائع بديع في الإنذار والتخويف ففافتتاح الكلام بهذه الجملة أسلوب بديع في الافتتاح لما فيه من غرابة الأسلوب وإدخال الروع على المنذَرين فإنّ المراد بالنّاس مشـــركو مكة، والاقتراب مبالغة في القرب، فصيغة الافتعال الموضوعة للمطاوعة مستعملة فـــي تحقـــق الفعل أي: اشتد قرب وقوعه بهم[1].

ومن الآيات التي تدل على اقتراب الساعة قول الله تعـــالى:﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ {غافر:18 } يوم الآزفة هو: اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ {النجم: 57 - 58}[2]. أي قربت الساعة ودنت القيامة. وسمّاها آزفة لقـــرب قيامها عنده ؛ فهي قريبة. وقيل: سمّاها آزفة لدنوها من النّاس وقربها منهم ليستعدوا لهـــا ؛ لأنّ كل ما هو آت قريب[3].

قال السعدي رحمه الله: "يقول تعالى لنبيّه محمد صلى الله عليـــه وســـلم: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾ {غافر:18 }،أي: يوم القيامة التي قد أزفت وقربت، وآن الوصول إلى أهوالها وقلاقلها وزلازلها، ﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ أي: قد ارتفعت وبقيت أفئدتهم هواء، ووصلت القلوب من الروع والكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم.﴿ كَٰظِمِينَ ﴾ لا يتكلمون إلا مـــن أذن لـــه الرحمن وقال صوابا وكاظمين على ما في قلوبهم من الروع الشديد والمزعجات الهائلة"[4].

---

[1] انظر: ابن كثير،**تفسير ابن كثير** 331/5، والسعدي، **تفسير السعدي** 518/1، و ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر (ت: 1393 هـ) **التحرير والتنوير** دار سحنون للنشر والتوزيع، تـونس، 1997م، 8/17، والطبـري، **تفسـير الطبـري** 409/18.

[2] انظر: ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، 137/7 وانظر: النحاس، أبا جعفر، (ت: 338 هـ)، **معاني القرآن الكريم**، 6مج، تحقيق: محمد علي الصابوني جامعة أم القرى مكة المرمة، ط1 1409 هـ 211/6 وانظـر: الطبـري **تفسـير الطبري** 736/21.

[3] انظر، القرطبي أبا عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، (ت:671 هـ) **الجامع لأحكام القـرآن** تحقيـق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ - 2003 م، 122/1.
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، المالكي، الإمام المفسّر صـاحب التصـانيف، مـن مصنفاته "التذكرة" و "الأسنى في الأسماء الحسنى" مات سنة 671 هـ./ الذهبي، **السير** 76/14.

[4] السعدي، **تفسير السعدي** 735/1.

ومن الآيات التي تنذر بقرب الساعة وأنّ أشراطها قد ظهرت قول الله تعالى:﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨ ﴾ {محمد: 18}

فالساعة قريبة دانية فماذا ينتظر أولئك المعاندون؛ فها هي قد دنت ومما يدل على ذلك: أنّ العلامات التي تنذر بوقوعها قد جاءت وظهر بعضها، فلينتبهوا من رقدتهم وليستيقظوا من غفلتهم.

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء، أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها"[1].

ومن الآيات المؤذنة باقتراب الساعة، قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧ ﴾ {الشورى: 17} وقوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١ ﴾ {الإسراء: 51}

يقول الشوكاني[2] رحمه الله: "﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾ أي البعث والإعادة استهزاء منهم وسخرية ﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ أي: هو قريب لأنّ (عسى) في كلام الله واجب الوقوع ومثله ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧ ﴾ وكل ما هو آت قريب"[3].

ويدل قوله تعالى:﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ ﴾ {القمر: 1}، فهي بلا شك تدل دلالة واضحة على قرب القيامة وعلى ظهور شرط من أشراط الساعة وهو انشقاق القمر الذي حصل في زمن النّبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد اقتربت الساعة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ ﴾ {القمر: 1}، ودليل اقترابها وقوع علامة عظيمة من علاماتها وهي: انشقاق القمر.

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري** 117/22.

[2] الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله، ولد بهجرة شوكان في اليمن (ت: 1173 هـ)، نشأ بصنعاء وولي قضاءها ومات حاكماً بها عام 1250 هـ، من مؤلفاته: إرشاد الفحول، والسيل الجرار، وغيرهما. الزركلي، **الإعلام** 298/6.

[3] الشوكاني، محمد بن علي (ت: 1250 هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** 5مج، 33/3.

والتفصيل بإذن الله تعالى سأبيّنه في مبحث مستقل، فهذا الشرط من الأمور التـــي تـــدل على اقتراب القيامة.

وهكذا بتتابع الآيات في بيان قرب الساعة يتبين أنّها قريبة وأنّ هناك علامـــات تنـــذر بقربها...وفي هذا الفصل بإذن الله أذكر الاشراط الواردة في القرآن الكريم، وموقف العقلانيّـــين منها، متبوعة بردود علميّة.

وقد ذكرّ القرآن الكريم أشراطاً للساعة ليكون وقوعها دليلاً على قرب الساعة، وفصّلت السنّة النبويّة أشراط الساعة تفصيلاً، وبيّنت بياناً لا مجال فيه للتأويـــل الفاســـد؛ ولأنّ الدراســـة قرآنية؛ فإنّي اقتصرت على الأشراط المذكورة في القرآن الكريم، وهي فقط ستة أشراط: انشقاق القمر، ونزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- من السماء، و يأجوج ومأجوج، والدّخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدّابة.

وأمّا الترتيب فليس هناك نص في بيان ذلك، ولكن بدأت بعلامة انشقاق القمر؛ لأنّها قـــد حصلت ومضت، وبعد ذلك نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء إذ هـــي مـــن أوائـــل الأشراط الكبرى بعد خروج الدجال، ثمّ خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم في أثناء وجود عيسى عليه الصلاة والسلام في الأرض بعد مقتل الدجال، ثمّ ظهور الدّخان فقد يكـــون قبـــل طلـــوع الشمس وانقطاع التوبة، ثمّ طلوع الشمس من مغربها؛ ثمّ خروج الدّابة بعد انقطاع التوبة.

ومن خلال ذكر الأشراط الواردة في القرآن الكريم أذكر تفسيرات أصـــحاب المدرســـة العقليّة الحديثة، وأرد عليهم خطأهم؛ فقد ذكروا تأويلات عقلية بعيدة عـــن الـــدلالات الظـــاهرة لنصوص القرآن الكريم.

كما وأذكر أقوال بعض المفسرين بعد ذكر نصوص من السنّة الصحيحة التـــي تفســـر الآية؛ فخير ما يفسر الآية آية مثلها، أو حديث من قول النّبي صلى الله عليه وسلم.

أمّا آراء العقلانيّين فأذكرها من كتبهم، ثمّ أنبه على خطأهم، بذكر بعض ردود أهل العلم عليها، و لا بد من العلم أنّ هناك تفاوتاً في آراء العقلانيّين واختلافاً وهذا أمـــر طبيعـــي؛ فـــإنّ مدارك العقول متفاوتة.

المبحث الثاني

انشقاق القمر

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ {القمر: 1} هذه الآية الكريمة دالّة على شرط من أشراط الساعة وهو انشقاق القمر الذي حصل في زمن النّبي صلى الله عليه وسلم فكان علامة دالة على قرب وقوع الساعة.

أمّا الأحاديث الدّالة على هذا الشرط من أشراط الساعة فكثيرة ومتقاربة المعنى ودلالتها صريحة في إثبات حصول هذه الآية، وخير ما يفسّر ويوضح نصوص القرآن الكريم السنّة النبويّة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ ﴾ {النحل: 44}.

روى البخاري رحمه الله: "عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةً دُونَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا"[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاء بَيْنَهُمَا"[2].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:" انْشَقَّ الْقَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[3].

فهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث صريحة لا مجال فيها للردّ ولا للتأويل وإنمّا إيماننا بالرسول الكريم يأمرنا بالتسليم الكامل لقوله صلى الله عليه وسلم ويلاحظ قول النّبي صلى الله عليه وسلم "اشهدوا" فهو دال على وضوح الرؤية.

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة، باب ﴿وانشق القمر* وإن يروا آية يعرضوا ﴾ 142/6 برقم **4864.**

[2] المصدر السابق ، كتاب الجمعة بَاب انْشِقَاقُ الْقَمَرِ 49/5 برقم 3868.

[3] المصدر السابق، كتاب الجمعة بَاب انْشِقَاقُ الْقَمَرِ 143/6 برقم 4866.

يقول الطبري رحمه الله: " يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾ افتعلت من القُرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنوّ القيامة، وقرب فناء الدنيا،...وقوله:﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ أي انفلق القمر،... وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة؛ وذلك أنّ كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم -صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فلقتين حتى رأوا حراء بينهما فأخبر الله تعالى أن ذلك من علامات قرب الساعة؛ وهذه آية حجة على صدق قول النّبي صلى الله عليه وسلم، وحقيقة نبوّته"[1].

واستدل ابن جرير بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي مرّ آنفاً، فدلالته واضحة بينة.

وعلى الرغم من وضوح هذا الأمر ببيان نصوص القرآن والسنّة الصحيحة له، وقد وجد بعض العقلانيّين وبعض من تأثر بهم يذكرون شبهات وإشكالات على حدوث هذا الأمر العظيم أوردها من كتبهم وأردّ عليها، عبر المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: الرد على تفسير انشقاق القمر باقتربت الساعة وظهر الحق:

يقول شيخ الإسلام مصطفى صبري: "ورأيت للشيخ محمّد رشيد تلميذ محمّد عبده تأويلاً في قوله تعالى:﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ {القمر: 1} المعنى عنده: اقتربت الساعة وظهر الحق، ثم أتى لتأويله بدليل من لسان العرب "وهو قوله: "انشق الصبح وشق الصبح"، إذا طلع،... وليس في اللسان "، انشق القمر، أو انشقت الشمس، بمعنى طلعتا؛ لأنّ انشقاق القمر والشمس عند طلوعهما غير معقول، كمعقولية انشقاق الفجر والصبح عند طلوعهما، وقد يقال: أيضا تنفس الصبح، ولا يقال تنفس القمر، أو الشمس، لكن الشيخ... قاس انشقاق القمر على

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان،** 565/22 و569/22، الواحدي، علي بن أحمد، (ت:468 هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي)** 1مج، ص 1045.

علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب "التفسير" صنف التفاسير "البسيط" و " الوسيط" و "الوجيز" مات بنيسابور سنة 468 هـ، وقد شاخ/ الذهبي، **السير** 169/11 -170.

انشقاق الصبح، ثمّ جعل انشقاق القمر كناية عن ظهور الحق، من غير مبرر في كل ذلك، سوى الإصرار على إنكار المعجزات"[1].

لقد سلك محمّد رشيد رضا مسلكاً غير صحيح في رد الروايات، وتأويلاً بعيداً عن الهدي الصحيح؛ فهو يدلّل على ما ذهب إليه بأنّ الروايات معلولة، ومتعارضة، وأنّها غير متواترة، وعنده إشكال خفاء انشقاق القمر على جميع الأقطار، وأخذ يناقش ذلك بمبحث طويل في مجلته المنار[2].

وما ذهب إليه محمّد رضا رحمه الله مخالف لظاهر الآية، وما دلت الأحاديث المروية في أصح كتاب من كتب السنّة وهو صحيح البخاري.

المطلب الثاني: الرد على أنّ العلامة لم تحصل بعد، وأنّ القمر سينشق:

ذكر المراغي تفسيراً مرجوحاً ومعه شبهة دليلٍ، لا أوافقه على ترجيحه لبعده عن القول القوي الراجح ومع هذا فهذا يختلف كثيراً عن ما قاله محمّد سعيد الزغبي، وما ذكره من قول منحرف لا يستند لأي دليلٍ صحيح.وسيأتي قوله قريباً.

أمّا أحمد مصطفى المراغي فيرى أنّ العلامة لم تحصل بعد، وأنّه سينشق القمر، وينفصل بعضه من بعض، حين يختل نظام العالم، وتبدّل الأرض غير الأرض، عند قرب قيام الساعة، وقد ذكر قول جمهور المفسرين: أنّ هذا حدث قد حصل، وأنّ القمر صار فرقتين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. وذكر بعض الأدلة، لكنه وللأسف عاد إلى القول و إلى ترجيح أنّ هذا إخبار عن حدثٍ مستقبلٍ، لا عن انشقاقٍ ماضٍ.

يقول رحمه الله: "والذي يدل على أنّ هذا إخبار عن حدث مستقبل، لا عن انشقاق ماض - أمور:

---

[1] صبري، مصطفى، (ت:1373 هـ) **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين 4مج**، دار إحياء التراث العربي، لبنان ط2 1401 هـ - 1981م 172/4 -173.

[2] انظر: رضا، محمد رشيد، (ت: 1354هـ) **المنار**، دار الكتب العلمية، لبنان، 261/4/30 -272 بتاريخ 1929/10/3م.

1- إنّ الإخبار بالانشقاق أتى إثر الكلام على قرب مجيء الساعة، والظاهر تجانس الخبـــرين وأنّهما خبران عن مستقبلٍ، لا عن ماضٍ.

2- إنّ انشقاق القمر من الأحداث الكونيّة الهامّة، التي لو حصلت لرآها مـــن النّـــاس مـــن لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم، ولبلغ حدّاً لا يمكن أحداً أن ينكره، وصار من المحسوسات التي لا تدفع، ولصار من المعجزات التي لا يسع مسلماً ولا غيره إنكارها.

3- ما ادعى من المسلمين إلا من شذ أنّ هذه معجزة بلغت حد التواتر، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحاداً، بل كانوا لا يعدون كثرة"[1].

هذا رأي المراغي رحمه الله وفيه بعدٌ عن الراجح؛ ومخالفة واضحة للنّصوص وذلـــك للأسباب الآتية:

1. أنّ ظاهر الآية يدل على وقوعها وانقضائها؛ وسياق الآيات يدل على ذلك؛ فقد جاءت بلفظ الماضي ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَر ﴾ .وأما التعبير بالماضي في قوله:﴿ اَقْتَرَبَتِ ﴾ فهو لبيان شـــدة قربها كأنّها وقعت واقتربت.

2. أنّ الأحاديث الصحيحة في البخاري وغيره دالة على أنّها وقعت وانقضت.

3. أنّ هذا التفسير الذي ذهب إليه لم يرد عن أحد من الصحابة أو التابعين، بل الوارد عـــنهم ما يوافق ظاهر الآية والأحاديث الصحيحة.

فهل يقال: إنّ النّاس إذا رأوا انشقاق القمر قبيل الساعة سيقولون﴿ سِحْرٌمُّسْتَمِرٌّ ﴾؛ وإنّما ذلك يكون في الدنيا. فبمجموع هذه النقاط يمنع تأويل الآية بمثل ما أوّله به محمّد رشيد رضا و المراغي رحمهم الله.

---

[1] انظر: المراغي، أحمد مصطفى، (ت: 1371 هـ) **تفسير المراغي** 10 مج، تحقيق: باسل عيون الســـود، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ط1 1418 هـ - 1998م، 9/ 352-353.

فلا بد إذن من رد الشبهات الواردة على هذه الآية المعجزة؛ فيقال مثلاً: إنّ عدم نقلها من قبل عدد كبير من الصحابة يبلغ حد التواتر؛ إنّما هو بسبب أنّ القرآن نقلها وكفى به، لذلك لم تتوفر دواعي الجمع الكبير على نقلها اكتفاء بالقرآن.

قال رحمة الله الهندي رحمه الله: "وحمله على معنى "سينشق" بعيد؛...:

1 - لأنّ الله أخبر بإعراضهم عن آياته، والإعراض الحقيقي عنها لا يتصور قبل وقوعها.

2 - لأنّ المفسرين المشهورين صرّحوا بأنّ انشق بمعناه، وردوا قول من قال: بمعنى "سينشق".

3 - لأنّ الأحاديث الصحيحة تدل على وقوعه قطعاً"[1].

وردّ الهندي رحمه الله على مثل هذه الإشكالات فقال: "فلأنّ انشق، صيغة ماض، وحمله على معنى "سينشق" مجاز، ولا يصار إليه إلّا إذا تعذر الحمل على الحقيقة، وههنا لم يتعذر، فيجب حمله على معناه الحقيقي... إنّ انشقاق القمر في المستقبل لا يكون إلا في يوم القيامة خاصة، وفي هذا اليوم لا يقول الكفار إنه: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾"[2].

أمّا عبد الكريم الخطيب فيشاطرهم الرأي ويؤكده فيقول في تفسيره (التفسير القرآني للقرآن) ما نصه: "أمّا قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾فهو أمارة من أمارات هذا اليوم، يوم القيامة.. الذي تبدل فيه الأرض غير الأرض والسماوات... وكأن الواو هنا واو المعيّة أو المصاحبة.. ومعنى انشقاق القمر ظهوره في ذلك اليوم على حقيقته في أعين النّاس"[3].

ثمّ عنون النّبي..وانشقاق القمر وكان ممّا قال: "فلقد كاد يجمع المفسرون على أنّ انشقاق القمر كان في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأنّه آية معجزة وقعت على يد النّبي، وهو في مكة قبل الهجرة.

---

[1] انظر: الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي (ت: 1308 هـ) **إظهار الحق**، 4مج، تحقيق: محمد ملكاوي، دار أولي النهى ودار الوطن، السعودية، 1412 هـ 4/ 1027.

[2] المصدر السابق، 1042/4 و 1047.

[3] الخطيب، عبد الكريم (ت: 1429هـ) **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، بيروت، 1970م، 627/14.

ونحن إذ نخالف هذا الرأي لا نخالفه استكثاراً على النّبي الكريم أن يضع الله سبحانه هذه المعجزة، فإنّ ما في يد الرسول من آيات الله وكلماته ما لا يبلغ انشقاق القمر شيئاً إزاء حـرف من كلمة من كلمات الله. ! كما لا نخالفه ونحن نعتقد بصحة هذه الأحاديث في سـندها إلـى أن تصل إلى أصحاب رسول الله فإنّنا من صحابة رسول الله في مقام الأعمى بين يدي المبصـر.. ولكنّنا إذ نخالف هذه الأخبار، فإنّنا نخالفها ونحن في شك من صحة السند..وإذا شككنا في السند كان المتن مجرد قول يضاف إلى آخر راو روي عنه.

وإنّنا إذ نخالف هذا القول بانشقاق القمر في عهد الرسول، لأمور:

فأولاً: لم يكن للرسول الكريم معجزة متحدية، قائمة على مر الزمان، إلا القرآن الكريم.

ثانياً: لو صح أن يكون للنّبي معجزات أخرى متحدية غير القرآن، لما كان القرآن الكريم واحدة منها، لأنّ العرب لم يتحدوه بأن يأتيهم بمعجزة معلقة في السماء...

ثالثاً: لو كان انشقاق القمر معجزة متحدية، لأنذرهم النّبي صلى الله عليه وسلم بذلك...

رابعاً: خسفت الشمس على عهد الرسول الكريم في المدينة... فموقفه من الأحداث التي تقع فـي الطبيعة.. أنّه يصحح المفاهيم الخاطئة التي تقع للنّاس، من ربط الأحداث التي تقع لهم بالكواكب والنجوم، وأنّ ما يجري على الشمس والقمر من خسوف وكسوف، ليس إلا من العوارض التـي تعرض لهما في نظام دورتهما في الفلك...

خامساً: إذا كان النّبي يريد أن يتحدى قومه بمعجزة ماديّة، يطلب من الله سـبحانه وتعـالى أن يؤيده بها، فلم يختار انشقاق القمر، وتمزقه قطعاً في السماء؟ أليس من الأولى من ذلك أن يريهم أثراً محسوساً بين أيديهم...

وعلى هذا فإنّ الحديث عن انشقاق القمر بالفعل الماضي لا تقوم منه حجة على وقـوع هذا الانشقاق، بل إنّه إذا نظر إليه باعتبار أنّه من أحداث يوم القيامة، كان التعبير عنه بالماضي دليلاً على أنّ المراد به الإخبار عن المستقبل الذي لم يقع.

فإذا نظرنا إلى انشقاق القمر مع قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ۝١﴾ومع ما يقع يوم القيامة من تبدّل وتحول في العوالم السفلية والعلوية، رأينا أنّ انشقاق القمر لا يعدو أن يكون حدثاً من الأحداث التي تقع يوم القيامة.. للقمر ولغيره من العوالم الأخرى"[1].

إنّ رأي عبد الكريم الخطيب واضح في أنّ انشقاق القمر لم يحصل، ولا شك أنّ هذا مرجوح يخالف صريح الآية والأحاديث الصحيحة ولا أدري ما المسوِّغ الذي يدفع عبد الكريم الخطيب وغيره إلى هذه التأويلات وإلى عدم القول بحصول الانشقاق، فما يضيره إن أثبت ما أثبته القرآن وأثبتته السنّة الصحيحة!

وبعض كلامه ينقض بعضاً؛ فهو يقول: "كما لا نخالفه ونحن نعتقد بصحة هذه الأحاديث في سندها إلى أن تصل إلى أصحاب رسول الله فإنّنا من صحابة رسول الله في مقام الأعمى بين يدي المبصر.. ولكننا إذ نخالف هذه الأخبار، فإننا نخالفها ونحن في شك من صحة السند..وإذا شككنا في السند كان المتن مجرد قول يضاف إلى آخر راوٍ روي عنه"[2].

فكيف يعتقد صحتها ولا يأخذ بها؟ وكيف يعتقد صحتها في سندها إلى أن تصل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ثمّ يخالفها لأنّه يشكك في صحة السند ؟ وتشكيكه في السند لم يقدم عليه بيّنة واحدة ولا حجة علميّة.

وأمّا ما ذكره من أمور فأقول: وهل عدم التحدي بمعجزة من المعجزات الحسية الكثيرة التي حصلت على يديه صلى الله عليه وسلم يعني إسقاطها وعدم إثباتها؟.

فليس المهم أن يتم التحدي المهم أنّها ثبتت وحصلت وبهرت العقول والقلوب وفيها التأييد لنبوّة الرسول الخاتم، وهي معجزة بحق سواء حصل التحدي والإنذار أو لم يحصل.

وإضافة إلى ما سبق فإنّ هناك بعض الردود التي ذكرها شيخ الإسلام في الدولة العثمانية مصطفى صبري رحمه الله أنقلها ففيها فوائد جمة وافرة.

---

[1] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن** 628/14و630و631و632. بتصرف يسير.

[2] المصدر السابق 627/14.

قال رحمه الله: "فالقرآن صرح بانشقاق القمر على صيغة الماضي، وسمّاه آية من الآيات التي أعرضوا عنها؛ وقالوا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فبماذا يطالبنا بعد هذا منكرو المعجزات الكونية لمحمد -صلى الله عليه وسلم- قائلين "لم يرد في القرآن ذكر شيء منها، ولو ورد لآمنا به، فإن قالوا جواباً على هذا الدليل الذي أتينا به من القرآن، لكن انشقاق القمر أمر محسوس، لا يخفى على أحد من سكان الأرض في ذلك العصر، فلو وقع لحكاه تاريخ الأمم "فإنّي رادّ لجوابهم عليهم بأن هذا يكون منهم عدم اعتماد على أخبار القرآن؛ حيث يبحثون عن إخبار آخر يؤيده، ثمّ أقول عاكساً لجوابهم عليهم: لو لم ينشق القمر في عصر نبينا، ولم يشاهده أعداؤه المشركون في مكة لكذّبوا محمّداً صلى الله عليه وسلم في هذه الآية، وصار تكذيبهم المؤدي إلى تبيّن كذبه حادثة هامة أدعى إلى تناقل الألسنة والأقلام بها من تناقل حادثة الانشقاق نفسه؛ التي ربما لا يطلع عليها غير أهل مكة؛ لإهمال ترصدها في وقتها؛ أو لغيم يسترها أو لحسبانها حادثة من الحوادث الجوية العجيبة التي لا تدرك أسبابها؛ ولا تضبط في ذلك الحين "[1].

ثمّ قال رحمه الله: " فالقياس الأصلي عندهم للقبول هو الموافقة لعقيدتهم لا الموافقة للقرآن، فلهذا لا يكفيهم قول القرآن ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ في إثبات معجزة انشقاق القمر، فكأنهم يتصورون مانعاً عقلياً يمنعهم عن حمل الآية على ظاهرها وصراحتها، وهو عدم إمكان هذا الانشقاق، لكونه مخالفاً لسنة الكون" [2].

يقول محمّد سعيد رمضان البوطي: "من الباحثين من يبالغ في تصوير حياة النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- على أنّها حياة بشريّة عاديّة، وذلك من خلال الإطناب في بيان أنّ حياته صلى الله عليه وسلم، لم تكن معقدة وراء الخوارق والمعجزات، بل كان منكراً لها غير عابئٍ بها ولا ملتفت إلى المطالبين بها، وأنّه كان يؤكد دائماً أنّ المعجزات والخوارق ليست من شأنه وليس له إليها سبيل،... بحيث يخيّ للقارئ أو السامع أن سيرته صلى الله عليه وسلّم كانت بعيدة كل البعد عن المعجزات والآيات التي يؤيّد الله بها في العادة أنبياءه عليهم الصلاة والسلام.

---

[1] صبري، **موقف العقل** 170/4 -171 .

[2] المصدر السابق، 174/4.

وإذا أمعنا في منبع هذه النظريّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، نجـد أنّهـا فـي الأصل فكرة بعض المستشرقين والباحثين الأجانب...ثمّ تلقف هذه النظريّة مـنهم أنـاس مـن المسلمين، كان من سوء حظ العالم الإسلامي، أن جندوا كل مساعيهم وعلومهم للتبشير بأفكـار أولئك الأجانب دون أي مؤيد سوى الافتتان بزخرف خداعهم وانخطـاف أبصـارهم بمظهـر النهضة العلميّة التي هبت في أنحاء أوروبا...

ثمّ نظر محترفو التشكيك وأرباب الغزو الفكري، فوجدوا في هذا الـذي يقولـه بعـض المسلمين أنفسهم ما يفتح لهم آفاقا وميادين جديدة لغزوهم الفكري وتشكيك المسـلمين بـدينهم، يغنيهم عن وسيلتهم العتيقة.. وسيلة الحرب المباشرة للعقيدة الإسلاميّة...فراحوا يروِّجون صفات معينة للرسول صلى الله عليه وسلّم كالبطولة والعبقريّة والقيادة في عبـارات مـن الإعجـاب والإطراء، ويبالغون في الوقت ذاته في تصوير حياته العامة بعيدة عن كل ما لا يدركه العقل من معجزات وخوارق العادات، كي يتم لهم إنشاء صورة جديدة للنّبي صلى الله عليه وسلّم في أذهان المسلمين مع مرور الزمن، قد تكون (محمّد العبقريّ) أو تكون صورة (محمّد القائد)"[1].

المطلب الثالث: الرد على أنّه معنى مجازي، فليس هو القمر المعروف:

ومن الانحراف والخطأ ما ذكره محمّد سعيد الزغبي في كتابه (السيد المسـيح يلـوح بالأفق) وهو يتحدث عن انشقاق القمر، فيقول: " إنّ الله لم يؤيد رسوله بالمعجزات ولا بخوارق العادات وإنّما أيده بقرآن يقذف بآياته باطل الكفار؛ فإذا هو زاهق لا حياة فيه "[2].

فانظر كيف خلط باطلاً بحق ولبّس على القارئ وهو يتظاهر بمدح القرآن، لكنه يبطل المعجزات والآيات الباهرات، التي أيّد الله بها رسوله محمّداً صلى الله عليه وسلم فما المانع من قبول المعجزات ما دامت النّصوص الصحيحة جاءت بها !

---

[1] البوطي، محمد سعيد رمضان، (معاصر) **فقه السيرة النبويّة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، دار السلام، القـاهرة، دار الفكر، بيروت، ط6 1419 هـ - 1999م، ص109و110.

[2] الزغبي، محمد سعيد (معاصر) **السيد المسح يلوح بالأفق**، ط1 1413 هـ - 1993م، ص98.

ثمّ أوّل انشقاق القمر على أنّه معنى مجازي، فليس هو القمر المعروف، قال:" لذا فـــإن انشقاق القمر أيضا ليس بمعجزة، وإنما هو وطلوع الشمس من مغربها ودابة الأرض إشارات لقرب وقوع الساعة....هذا وإن انشقاق القمر الذي ورد ذكره في الآية الكريمـــة... إن هـــو إلا حدث من الأحداث المسطّرة في الزبر يبيّنها الله لأهل كل عصر بما يهمهم مـــن الآيـــات فـــي الوقت المناسب... والقمر في هذه الآية الكريمة، لا يعني ذلك الكوكب المنيـــر، إنّمـــا المعنـــى المجازي، فهو أي القمر - كالشمس التي وجدها ذو القرنين تغرب في عين حمئة.

وانشقاق القمر يعني الانشقاق الذي حدث في منطقة الشرق الأوسط إذ إنّ دويلات هذه المنطقة انقسمت إلى قسمين: قسم اتجه نحو الغرب والقسم الآخر توجه نحو الشرق. ثمّ راحـــت كل دولة تستمد نورها وتستقي مبادئها من الجهة التي توجهت نحوها. والسبب في تســـمية هـــذه المنطقة بالقمر وجود شبه بينها وبينه"[1].

هذا تأويل مذموم لا يوافق ديناً ولا عقلاً، وبعيد كل البعد عن سياق الآيات؛ فالآية التـــي بعدها كيف يفسرها؟؟ فهي تدل على تكذيب الكفرة للمعجزة، وما دخل الشرق الأوسط في القمر وفي تكذيب الكفار، فضلاً عن الأحاديث الصحيحة التي تكذب تفسيره.

فالحق أنّ هذه العلامة حصلت زمن النّبي صلى الله عليه وسلم وهي تدل علـــى قـــرب الساعة؛ وأنّ هذه الآية من المعجزات الباهرات التي أيد الله بها نبيّنا محمداً صلى الله عليه وسلم.

---

[1] الزغبي، **السيد المسح يلوح بالأفق**، ص 99 - 100.

المبحث الثالث

نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من السماء

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: المقصود بقول الله تعالى:﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ ﴾ {النساء: 159}

للعلماء في تفسير هذه الآية ثلاثة أقوال؛ أذكرها وأبيّن الراجح بحول الله وقوته -:

القول الأول: إنّ معنى الآية أنّ أهل الكتاب يؤمنون بعيسى عليه السلام عند نزوله قبيل الساعة، فإنّه لا زال حياً، فإذا نزل قتل الدجال، وحكم بالإسلام؛ فتصير الملل كلها واحدة هي ملّة الإسلام، ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به؛ ثمّ يكون موته، فالضمير في قوله:﴿ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ ﴾راجع إلى عيسى -عليه الصلاة والسلام ، وهذا أولى الأقوال بالصحة، وإنّما قلت ذلك؛ لسببين:

1. السياق؛ فإنّ الآيات السابقة مباشرة تتحدث عن عيسى عليه الصلاة والسلام، تنفي قتله، وتثبت رفعه.

2. الدليل الآخر ما رواه البخاري رحمه الله: "عن أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا؛ فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ ﴾ "[1].

قال ابن كثير رحمه الله: "فأخبر تعالى أنّه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنّوم على الصحيح المقطوع به، وخلّصه ممّن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان"[2].

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة، بَاب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام، 168/4 برقم 3448.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774 هـ) **المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام** دار مكتبة التربية، لبنان، 1987م، ص77.

القول الثاني: أنّه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي قبل موت الكتابي؛ لأنّ كل من نزل به الموت لم تخرج نفسُه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه... وهذا القول مرجوح فسياق الآيات على خلافه[1].

فالمقصود من سياق الآي تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلّم لهم من النّصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنّه لم يكن الأمر كذلك، وإنّما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبيّنون ذلك، ثمّ إنّه رفعه إليه، وإنّه باق حي، وإنّه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، وهكذا تنسجم الآيات وتتلاقى المعاني، فالمراد بها ما ذكر من تقرير وجود عيسى عليه السلام، وبقائه حياً في السماء، وأنّه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة؛ ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنّصارى[2].

القول الثالث:إنّ معنى ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ أي: بمحمد صلى الله عليه وسلم،﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ أي: قبل موت الكتابي.

وهذا القول مرجوح بعيد؛ فكيف يصح إيمانه بنبوة نبي وهو يكفر ببعض ما جاء به النبي !!! وهذا القول لا وجه له لأنّه لم يجر للنّبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير إليه[3].

بعد عرض الأقوال الثلاثة في المسألة ظهر جليّاً رجحان القول الأوّ .

وهناك كلام طيّب في تأكيد هذا الترجيح يذكره الشنقيطي، حيث قال رحمه الله تعالى :

"إنّه هو ظاهر القرآن المتبادر منه، وعليه تنسجم الضمائر.

---

[1] انظر، الطبري، **تفسير الطبري** 9 /379- 388

[2] انظر: المرجع السابق، 9 /379- 388، وابن عاشور، **التحرير والتنوير** 24/6و25. و ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** 454/4- 456.

[3] انظر: الخازن، **تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل** 620/7.

﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ {النساء: 159} أي: عيسى ﴿ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ ﴾، أي: عيسى: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾ أي: يكون هو، أي: عيسى عليهم شهيداً...

فهذا السياق القرآني الذي ترى، ظاهر ظهوراً لا ينبغي العدول عنه، في أنّ الضمير في قوله:﴿ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ ﴾ راجع إلى عيسى.

الوجه الثاني: من مرجحات هذا القول أنّه على هذا القول الصحيح فمفسر الضمير، ملفوظ مصرح به، في قوله تعالى:﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ {النساء: 157}. وأمّا على القول الآخر فمفسر الضمير ليس مذكوراً في الآية أصلاً بل هو مقدّر تقديره: ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته، أي موت أحد أهل الكتاب المقدر.ومما لا شك فيه أن ما لا يحتاج إلى تقدير أرجح وأولى مما يحتاج إلى تقدير.

الوجه الثالث: من مرجحات هذا القول الصحيح أنّه تشهد له السنّة النبويّة المتواترة لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قد تواترت عنه الأحاديث بأنّ عيسى عليه السلام حيّ الآن، وأنّه سينزل في آخر الزمان حكماً مقسطاً ولا ينكر تواتر السنّة بذلك إلا مكابر...

الوجه الرابع: هو أنّ القول الأوّل الصحيح واضح لا إشكال فيه، ولا يحتاج إلى تأويل ولا تخصيص"[1].

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وإن قيل: المراد به الإيمان الذي يكون بعد الغرغرة، لم يكن في هذا فائدة؛ فإنّ كل أحد بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده، فلا اختصاص للمسيح به، ولأنّه قال: ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ ولم يقل بعد موته، ولأنّه لا فرق بين إيمانه بالمسيح وبمحمد صلوات الله عليه وسلامه، واليهودي الذي يموت على اليهودية فيموت كافراً بمحمّد والمسيح عليهما الصلاة والسلام؛ لأنّه قال: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾، وقوله: ﴿لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ فعل مقسم عليه وهذا إنّما يكون في المستقبل؛ فدل ذلك على أنّ

---

[1] الشنقيطي، محمد الأمين (ت: 1393هـ) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المطابع الأهليّة، الرياض، 1403 هـ - 1983م، 7/265- 266 بتصرف.

هذا الإيمان بعد إخبار الله بهذا ولو أريد قبل موت الكتابي لقال: وإن من أهل الكتـاب إلا مـن يؤمن به، ولم يقل﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ وأيضاً فإنّه قال: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾وهذا يعم من اليهـود والنّصارى فدلّ ذلك على أنّ جميع أهل الكتاب اليهود والنّصارى يؤمنون بالمسيح قبل مـوت المسيح وذلك إذا نزل آمنت اليهود والنّصارى بأنّه رسول الله ليس كاذباً كما يقول اليهود ولا هو الله كما تقوله النّصارى"[1].

وهذا توجيه سديد من ابن تيمية رحمه الله تعالى يظهر صحة القول الأوّل ووجاهته وهو الدال على أنّ نزول المسيح عيسى ابن مريم في آخر الزمان من السـماء؛ فتتناسـب الآيـات وتتلاقى المعاني بدون تنافر ولا تأويل، ولا إقحام للعقل بتأويلات غير صحيحة، ولا لجوء لنفي هذه العلامة الباهرة الدالة على قدرة الله وعظمته.

وكما هو مقرر معلوم فإنّ تفسير النّبي عليه الصلاة والسلام للقرآن مقدّم على تفسـير من دونه، ومع أنّ الأحاديث الواردة في تفسير الآية أو الإشارة إليها ليس فيها نص صريح مـن النّبي عليه الصلاة والسلام في معنى الآية، إلا أنّ كلام أبي هريرة رضي الله عنه وهـو راوي الحديث مرجَّحٌ ومقدَّم على غيره وتفسير أبي هريرة هذا للآية يوافق القول الراجح.

وهو ما نص عليه الطحاوي رحمه الله بقوله: "َونؤمن بأشراط السـاعة؛ مـن خـروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشـمس مـن مغربها، وخروج الدّابة من موضعها"[2].

قال عمر الأشقر: "فالتكذيب بنزوله تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم فـي خبـره، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم صدق لا كذب"[3].

---

[1] ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت: 728 هـ) **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، تحقيـق د. محمد السيد 6مج، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، 1404 هـ، 90/3.

[2] ابن أبي العز الحنفي **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، ص429.

[3] الأشقر، عمر بن سليمان (معاصر) **القيامة الصغرى**، دار النفائس، عمان، ط 14 1427 هـ - 2007م، ص276.

ويقول عمر الأشقر:"والسبب في عدم تقدّم عيسى عليه السلام للإمامة هو الدّلالة على أنّه جاء تابعاً لهذا النّبي صلى الله عليه وسلّم وحاكماً بالقرآن، لا بالإنجيل؛ فإنّ شريعة القرآن ناسخة للشرائع قبلها، وقد أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمّد صلى الله عليه وسلّم ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ {آل عمران: 81 - 82} "[1].

المطلب الثاني: أقوال المدرسة العقليّة الحديثة حول نزول عيسى عليه السلام من السماء والرد عليها

وقد أورد بعض أصحاب المدرسة العقليّة، وبعض من تأثر بهم شبهات وإشكالات عقليّة حول نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان، وفيما يأتي إيرادها والرد عليها:

أوّلاً: ما ذكره محمّد عبده من تأويل ظاهره عدم التصريح بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان من السماء.

قال محمّد رشيد رضا رحمه الله: " قال محمّد عبده: ولمّا كان أصحاب الشريعة الأخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبراً عن رأيه وفهمه، وكان ذلك مزهقاً لروحها ذاهباً بحكمتها كان لا بدّ لهم من إصلاح عيسوي يبيّن لهم أسرار الشريعة وروح الدّين وأدبه الحقيقي وكل ذلك مطوي في القرآن الذي حجبوا عنه بالتقليد الذي هو آفة الحق وعدو الدّين في كل زمان، فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ النّاس فيه بروح الدّين والشريعة الإسلاميّة لإصلاح السرائر من غير تقيّد بالرسوم والظواهر"[2].

---

[1] الأشقر، **القيامة الصغرى**، ص 272.

[2] رضا محمّد رشيد، **(ت: 1354هـ) تفسير القرآن الحكيم (المشهور بتفسير المنار)** دار الكتب العلمية، لبنان، ط2 1426 هـ - 2005م، 262/3.

ولا شك أنّ هذا تأويل يخالف النّص بل ويبتعد عن الفهم الصحيح للقرآن والإيمان بالسنّة الصحيحة.

فتأويله لا يظهر للجميع؛ فهو محتمل أنّه يثبت نزول عيسى عليه السلام ولكن من تأمل في ألفاظه؛ يتبيّن تأويله لنزول المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلّم.

يقول محمّد ضياء الدين الكردي:" وما قاله محمّد عبده ليس معه عليه دليل لأنّ المراد بالدليل هنا النّص من الكتاب والسنّة، وهذا كله ينطبق على ما قاله عن الدّجال إنّ الدّجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها ولو أخذنا بذلك التأويل هل نكون قدرنا قول الله حق قدره أم فتحنا لكل ذي ضلال ليتكلم في أمور لا ترجع إلى العقل وإنّما إلى النّص.

قول الشيخ رشيد رضا في التعليق على ما ذكره الشيخ محمد عبده:" هذا ما قاله الأستاذ الإمام في الدرس مع بسط وإيضاح" ولكن ظواهر الأحاديث الواردة في ذلك تأباه، ولأهل هذا التأويل أن يقولوا:إنّ هذه الأحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث والناقل بالمعنى ينقل ما فهمه.

فكلامه يلبس الحق بالباطل فقوله: ظواهر تأباه قول حق أما قوله: إنّ الأحاديث قد نقلت بالمعنى فهذا فيه افتراء على الحديث والمحدثين وتوهين للحديث في نفوس المسلمين "[1].

والآية محكمة الدلالة؛ وهي دالة على نزول عيسى صلى الله عليه وسلّم من السماء.

يقول الأمين الصادق: "والزعم أنّها ليست محكمة الدلالة، ولذا أوّلها العلماء قديماً وحديثاً، زعم لا أساس له من الصحة، ودعوة باطلة، ليس لها ما يسندها، كيف وقد نصت

---

[1] الكردي، محمد ضياء الدين (معاصر)، **عقيدة الإسلام في رفع سيدنا عيسى ونزوله عليه السلام في آخر الزمان وبعض أشراط الساعة العظام** ط 1 1402 هـ ـ 1982م، 273 -274.

الأحاديث صراحة على نزوله عليه السلام، ولم يأت ما يعارض ذلك تصريحاً أو تلميحاً... وتأويل من أوّلها إنّما هو تحريف وتبديل ورد للنّصوص الثابتة الصريحة، ولا حجّة في قوله "[1].

ثانياً: ومن الشبهات التي أثيرت حول نزول عيسى صلى الله عليه وسلّم أنّ هناك من طعن في الأحاديث ورواتها ولم يثبت رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ولا نزوله منها، فهذه شبهة خطيرة.

وممّن قال بعدم نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق؛ قال رحمه الله:" أمّا آية النّساء فإنّها تقول:﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴿١٥٨﴾ ﴾ {النّساء: 158} وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء، ويقولون: إنّ الله ألقى شبهه على غيره، ورفعه بجسده إلى السماء، فهو حي فيها وسينزل منها في آخر الزمان، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، ويعتمدون على ما يلي:

أولاً: على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال، وهي مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث. وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام وقد عرفت درجتهما في الحديث عند علماء الجرح والتعديل.

ثانيا: على حديث مروي عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى وإذا صح هذا الحديث فهو أحاديث آحاد، وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات"[2].

وقد أورد حمود التويجري ردوداً على شلتوت حيث ذكر التويجري أنّ شلتوتاً أنكر نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان حكماً عدلاً، وطعن في الأحاديث الثابتة عن النّبي صلى الله عليه وسلّم في ذلك، وذكر أنّ الروايات مضطربة مختلفة في ألفاظها

---

[1] الأمين الصادق، **موقف المدرسة العقلية** 228 -229.

[2] شلتوت، محمود (ت: 1383 هـ): **الفتاوى**، دار القلم، القاهرة، ص61 -62.

ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها! وقد رد التويجري على شلتوت بأنّها متفقة متعاضدة، لا اضطراب فيها، ولا اختلاف بينها، وأمّا زعم شلتوت أنّ علماء الحديث نصوا على اضطراب تلك الأحاديث فغير صحيح؛ إذ إنّ علماء الحديث قد تلقوا هذه الأحاديث بالقبول ودللّ التويجري على ذلك بأقوال لأئمة علماء الحديث[1].

ولا شك أنّ الهدي الصحيح أنّ كل ما جاء به النّبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث واجبنا الإيمان بها والتسليم لمدلولها انظر قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ {الحشر: 7}

ثالثاً: ومن الخطأ بل هو النفي المبطن بأسلوب خطير، ما قرره أبو عبيّة في تعليقاته على كتاب **(البداية والنّهاية)** لابن كثير؛ حيث قا ما نصّه: "هل بقي عيسى عليه السلام حتى الآن حيّاً وسينزل إلى الأرض ليجدد الدعوة إلى دين الله بنفسه أم أنّ المراد بنزول عيسى هو انتصار دين الحق وانتشاره من جديد على أيدٍ مخلصة تتجه إلى الله وتعمل على تخليص المجتمع الإنساني من الشرور والآثام؟ رأيان، ذهب إلى كل منهما فريق من العلماء.

وهذا هو ما يقال بالنسبة إلى الدجال: هل هو شخص من لحم ودم ينشر الفساد ويهدد العباد ويملك وسائل الترغيب والترهيب والإفساد دون رادع من دين أو وازع من خلق حتى يقيض له عيسى فيقتله أم أنّه رمز لانتشار الشر وشيوع الفتنة وضعف نوازع الفضيلة، تهب عليه ريح الخير المرموز إليها بعيسى عليه السلام، فتذهبه، وتقضي عليه، وتأخذ بيد الناس إلى محجة الخير ومنهج العدل والتدين"[2].

ويقول أبو عبيّة: "على الرأي الذي تطمئنّ إليه النّفس تكون إشارة الحديث إلى ما سيكون بإذن الله محق الباطل الذي يمثله الدجالون الكذابون بصولة الحق الذي يمثله عيسى عليه

---

[1] انظر: التويجري، **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة** (14 /3 128و 129 و132و133).

[2] أبو عبيّة، محمد فهيم (معاصر)، **نهاية البداية والنهاية لابن كثير**، مكتبة النّصر الحديثة، الرياض، ط1، 1968 .71/1

السلام، ولعل في تحديد مكان انتصار الحق على الباط بباب لد في فلسطين ما يبشـــر القلـــوب المؤمنة بالله الواثقة من عدالة قضيتها قضية الإسلام و العروبة.

بأنّ الله عز وجل ناصر العرب والمسلمين وخاذل اليهود المعتدين، الذين يمثلون الدجال بمعناه الأوسع في تزوير الحقائق ونشر البهتان والعدوان علـــى النّـــاس ويجسّـــدون الرغبـــة المجنونة في سلب مقدراتهم وبلبلة أفكارهم وعقائدهم، وما النّصر إلا من الله وما هـــو عليـــه بعزيز"[1].

ولا شك أنّ هذا التأويل باطل ويستلزم عدم الإيمان بأحاديث النّبي صلى الله عليه وسلم المستفيضة الصحيحة في إثبات نزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- من الســـماء فـــي آخـــر الزمان..

وفي التعقيب على نحو الكلام المذكور يقول التويجري رحمه الله: " تأويل نزول عيسى عليه الصلاة والسلام بانتصار الحق وانتشاره من جديد على أيدٍ مخلصة تأويل باطل وتحريـــف للكلم عن مواضعه، وهو من جنس تأويلات القرامطة والباطنية"[2].

رابعاً: انحراف عند حسن الترابي حيث أنكر نزول عيسى عليه السلام من الســـماء فـــي آخـــر الزمان باستهزاء وأنكر الأحاديث التي تدل على نزول عيسى -عليه السلام- بأســـلوب غيـــر علميّ[3].

ولقد ذكر البعض أسراراً لأشراط الساعة، ولكن ليس على ذلك دليل، بل لا يجوز القول بذلك، ولا إقحام النّفس في هذا الأمر.

يقول محمّد سلامة جبر: " أمّا سر نزول عيسى عليه السلام ؛ فإنّه يرمز إلـــى صـــحوة الموت التي تشاهد عند سائر من بلغوا سكرات الموت الأولى، ويلبثون كذلك وقتاً قصيراً، حتى

---

[1] أبو عبيّة **نهاية البداية والنهاية لابن كثير** 158/1.

[2] التويجري، **إتحاف الجماعة** 140/3.

[3] جزء من محاضرة على اليوتيوب.http://www.youtube.com/user/beko281 .

يحسب ذووهم أنّهم قد عوفوا، ثمّ سرعان ما تنتكس حالتهم، ويدخلون في مرحلة معاناة سكرات الموت المذهلة؛ فينكشف لهم حينئذ الحق المبين... هذا حال غير المؤمنين أمّا الصالحون فيرون مقاعدهم في الجنّة... ويذكر سر نزوله دون غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام أنّه ولد بدون أب... الخ "[1].

وذكر هذه الأسرار لا دليل عليها بل هو تحكم عقلي دون دليل يدل عليه من الكتاب والسنّة الصحيحة، بل ولا من الضعيفة**!.**

وقد ذكر عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في تحقيقه لكتاب(التصريح بما تواتر في نزول المسيح) لمحمّد أنور الكشميري أقوال العلماء في الحكمة من نزول المسيح منها الرد على اليهود في زعمهم أنّهم قتلوه ونزوله لدنو أجله وتكذيبه للنّصارى...الخ [2].

فالحق الذي أدين الله به أنّ المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم رفعه الله إلى السماء وهو حيّ. وهو باق إلى آخر الزمان فينزل في آخر الزمان ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم عند نزوله ويقتل الدجال ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلّي خلف المهدي ويهلك الله في زمانه يأجوج ومأجوج.

والأحاديث التي تبيّن تفاصيل نزوله عليه السلام كثيرة لم أذكر الكثير منها لأنّ الدراسة قرآنيّة.

---

[1] انظر: جبر، محمّد سلامة (معاصر) **أشراط الساعة وأسرارها**، دار السلام، مصر، ط3 1424 هـ - 2003م، ص 134.

[2] الكشميري محمّد أنور شاه (ت: 1352 هـ) **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، ترتيب محمّد شفيع، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة والكلام له، دار القلم، دمشق، ط 5 1412 هـ - 1992م، ص94 .

المبحث الرابع:

خروج يأجوج ومأجوج

من العلامات العظيمة التي تحصل قبيل القيامة خروج يأجوج ومأجوج، الذين حبسهم ذو القرنيين خلف السد، وسيخرجون بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء. وقــد ورد ذكرهم في كتاب الله تعالى في سورة الكهف بشيء من التفصيل، وفي سورة الأنبياء ذكر عــن سرعة خروجهم، وفي السنّة النبويّة تفصيل كثير مبيّن واضح أذكر -بإذن الله تعالى- شيئاً منــه بعد ذكر الآيات القرآنية.

أبدأ بذكر الآيات القرآنيّة، ثمّ الأحاديث النبويّة، ثمّ أعرج على التفسير الصحيح ومن ثمّ مناقشة العقلانيين في دعواهم بعون الله -.

ورد في القرآن الكريم بيان أمور مهمة من شأنهم، وذلك في سورة الكهف عند الحديث عن فتوحات ذي القرنين في قــول الله تعــالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴾[الكهف:93 -99].

وفي سورة الأنبياء ورد وصف سرعة خروج يأجوج ومأجوج وكيفية انتشارهم. فقــال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾[الأنبياء: 96].

وأمّا عن ردم يأجوج ومأجوج فقد بيّن صلى الله عليه وسلم مقدار ما فــتح منــه وعــن الخطر المحدق بالأمّة عند خروجهم.

فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّــهُ عَنْهَــا أَنَّ النَّبِــيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ؛ فُــتِحَ

الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ"[1].

وتبقى حياة ومسلمون بل وإقامة لشعائر الدين بعد يأجوج ومأجوج روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ[2].

وقد ثبت بالتفصيل عن خروجهم وهلكتهم ونجاة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين وبيّنت السنّة المطهرة حال الأرض بعد هلكتهم.

روى مسلم في صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّه عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ[3] فِي رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[4] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[5] فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ ، وَلَا وَبَرٍ[6] فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة، **بَاب من انتظر حتى تدفن**، برقم 3598 198/4. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، برقم 2880.

[2] المصدر السابق، كتاب الجمعة، **بَابُ مَنْ انْتَظَرَ حَتَّى تُدْفَنَ**، برقم 1593 149/2.

[3] النغف: في حديث يأجوج ومأجوج " فيرسل الله عليهم نغفاً فيصبحون فرسى"، النغف بالتحريك: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. (ابن الأثير، **النهاية** 87/5).

[4] فرسى: أي قتلى، الواحد فريس(ابن الأثير، **النهاية** 428/3).

[5] البخت: البختيّة الأنثى من الجمال البخت، والذكر بختى وهي جمال طوال الأعناق (ابن الأثير، **النهاية** 101/1).

[6] أهل البوادي والمدن والقرى وهو من وبر الإبل لأنّ بيوتهم يتخذونها منه (ابن الأثير، **النهاية** 145/5).

كَالزَّلَفَةِ[1] ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : نْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا [2]، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ[3] مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ[4] فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ" [5].

وممّا يدل على عدم خروجهم بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ " [6].

أي: أن الأمر لم يحصل بعد، وفيه رد على من يقول: إنّهم خرجوا؛ فهذه النّصوص الصحيحة تدل على الخروج وأنّه على الحقيقة ويكون في آخر الزمان بعد نزول عيسى صلى الله عليه وسلم من السماء، وأنّهم يشربون بحيرة طبرية ويعيثون في الأرض فساداً ويرسل الله عليهم نغفاً يهلكهم...الخ دلالات النّصوص وهي صريحة أنّ ذلك في آخر الزمان.

لقد سلك ذو القرنين طريقًا من مشارق الأرض، حَتَّى إذا بلغ جبلين بينهما ثُغْرة يخرج منها يأجوج ومأجوج...، فيعيثون فيهم فسادًا، ويهلكون الحرث والنّسل؛ فأنشأ سداً لمنعهم من الخروج، ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾{الكهف: 97} فلمّا أرادوا نقبه لم يستطيعوا ذلك، أي فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا على ذلك الردم لارتفاعه وملاسته، وما

---

[1] زلف: الزلفة بالتحريك وجمعها زلف مصانع الماء. (ابن الأثير، **النهاية** 309/2).

[2] قحف الرمانة: أراد قشرها، تشبيها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ، (ابن الأثير، **النهاية** 17/4)

[3] اللقحة: ناقة لقوح إذا كانت غزيرة اللبن وناقة لاقح إذا كانت حاملا، واللقاح ذوات الألبان، (ابن الأثير، **النهاية** 262/4)

[4] هرج: ...وقد هرج الناس يهرجون هرجا إذا اختلطوا وأصل الهرج الكثرة في الشيء والإتساع،(ابن الأثير، **النهاية** 257/5).

[5] مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت:275 هـ)، **صحيح مسلم** (52 كتاب الفتن وأشراط الساعة) 1، باب اقتراب الفتن الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج) 2253/4 -2255.

[6] ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت:273 هـ) **سنن ابن ماجه** 1مج، مكتبة المعارف، الرياض، ط1 ط1، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ص675 ، برقم 4076 قال الشيخ الألباني: صحيح.

استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لشدته وصلابته؛ فلمّا رأى ذو القــرنين أن يــأجوج ومــأجوج لا يستطيعون أن يظهروا السد، ولا يقدرون على نقبه، قال: هذا الذي بنيته سويته حاجزاً لحمايــة الناس من شر يأجوج ومأجوج بين هــذه الأمــة، ومــن دون الــردم ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴿٩٨﴾ ﴾ [الكهف: 98] رحم بها من دون السد؛ ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴿٩٨﴾ ﴾{الكهف: 98 } الذي جعلــه ميقاتاً لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم. {جعله دكاء }؛ فيخرجــون بســرعة عظيمة كموج البحر، هذا عند فتح السد، يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يموج، أي: يدخل بعضهم على بعض كموج الماء، ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم[1].

ووصف ربنا سبحانه سرعة خروج يأجوج ومأجوج وكيفية انتشارهم في سورة الأنبياء؛ فقال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾{الأنبياء: 96}.

ويبين السعدي رحمه الله تفسير هذا النّص الكريم فيقول: "هذا تحذير من الله للنّــاس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنّه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان مــن بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لمّا شكي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى النّاس في هذه الحالة، والوصف الذي ذكره الله من كل مكان مرتفــع، وهو الحدب، ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثــرتهم البــاهرة، وإســراعهم فــي الأرض"[2].

لا بدّ من بيان أهمية إثبات خروج يأجوج ومأجوج الذي قد بيّن ووضح في دلالة بعض الآيات القرآنيّة، وفي السنّة، وأنّ هذا الأمر غيبيّ، عقديّ لا بدّ مــن الوقــوف عنــد نصــوص الوحيين فيه.

" إنّ الذي من أشراط الساعة ليس إيجادهم؛ بل خروجهم على النّاس وعبثهم في الأرض وفسادهم فيها، أمّا وجودهم فهم موجودون إلى الآن من زمن ذي القرنيين إلى الآن، موجــودون

---

[1] انظر: الطبري، **تفسير الطبري** 117/18-118، والبغوي، **معالم التنزيل** 209/5 وابن كثير، **تفسير ابن كثير** 195/5 والشوكاني، **فتح القدير** 447/3.

[2] السعدي، **تفسير السعدي، 531/1.**

منفردين في محل، فإذا أراد خروجهم سلطهم وجعل لهم قدرة وقـوّة ينفـذون مـن وراء هـذه السدود"[1].

لقد دلّت الآيات على أنّ خروجهم قبيل الساعة، وليس في العصور الوسطى، وأنّه حصل ومضى، وهذا يقتضي أنّهم لا يزالون في أرض لا يعلمها إلا الله، رغـم التطـور الصـناعي؛ فظهورهم أو الكشف عن مكانهم يكون قرب القيامة[2].

ويلحظ في قول النّبي صلى الله عليه وسلم: "ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ"[3]. أنّ الحديث نص على خروجهم في زمان عيسـى عليـه الصلاة والسلام، ولم يدلّ ولم يشر إلى خروج سابق أو عدة خروجات، ويكون ذلك فـي آخـر الزمان كما دل على ذلك الحديث، ويشربون بحيرة طبريّة وأمّا دول الكفر فهم موجودون منـذ زمن بعيد فلم يحصل شيء ممّا ذكر في الحديث إلى الآن فدلّ على أنه حدث مستقبلاً والبحيـرة موجودة فلم تشرب" فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ" [4].

ومجموع نصوص الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، فيه دلالة واضحة ظاهرة علـى كثرة يأجوج ومأجوج، وأنّهم لم يظهروا بعد، وأنّ هذا الذي سيحصل لم يحصل بعد.

وللعقلانيّين ومن تأثر بهم آرآء متعددة فيما يتعلق بشأن يأجوج ومأجوج، بينها تفـاوت كبير، فمنهم من ينفي خروجهم، ويؤوّل ذلك بتأويلات باطلة، ومنهم من يذكر عـدة خروجـات لهم.

---

[1] السفاريني، السفاريني محمد بن أحمد بن سالم (ت:1188 هـ) **شرح العقيدة السفارينية** شرحها ابن عثيمين، الكتـاب العلمي للنشر، لبنان 1428 هـ - 2007م 344-345.

[2] انظر: المصدر السابق، ص21.

[3] انظر ص62.

[4] انظر ص62.

وفيما يأتي مناقشة لأبرز الشبهات في هذا الموضوع.

الشبهة الأولى: وهي أخطر الشبهات على الإطلاق وتتمثل في نفي وجودهم أصلاً، وبالتالي نفي خروجهم.

ولم يقف الباحث على تحديدِ قائلٍ معيّن لهذا القول، وإنّما أشار إلى ذلك حمود التويجري رحمه الله: "وقد اختلفت أقوال العصريين في يأجوج ومأجوج؛ فبعضهم ينكرون وجودهم بالكليّة، وينكرون وجود السد الذي جعله ذو القرنين بينهم وبين النّاس! ومستندهم في ذلك ما يزعمه بعض الدول في هذه الأزمان أنّ السائحين منهم قد اكتشفوا الأرض كلها، فلم يروا يأجوج ومأجوج، ولم يروا سد ذي القرنين. وهذا في الحقيقة تكذيب بما أخبر الله به في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، عن السد ويأجوج ومأجوج، والتكذيب بما أخبر الله به في كتابه كفر وظلم. وبعض العصريين يزعمون أنّ يأجوج ومأجوج هم جميع دول الكفر المتفوقين في الصناعات الحديثة، وقد رأيت هذا القول الباطل في بعض مؤلفات المتكلفين من العصريين،... وقد قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧ ﴾{ الأنبياء: 96 - 97}. وفي هاتين الآيتين أبلغ رد على زعم أنّ يأجوج ومأجوج هم دول الإفرنج، أو غيرهم من دول المشرق والمغرب الذين لم يزالوا مختلطين بغيرهم من النّاس، ولم يجعل بينهم وبين الناس سد منيع يحول بينهم وبين الخروج على النّاس"[1].

وأغلب الظن أنه لا يوجد مسلم - عصرانيّاً كان أو عقلانيّاً - يصدر عنه هذا الكلام؛ فمثل هذا الكلام لا يجرؤ على التفوه به إلا جاحد بآيات الله عَزَّ وَجَلَّ.

الشبهة الثانية: أنّهم هم دول الغرب أوالإفرنج أوالتتر أوالمغول. وأنّ يأجوج ومأجوج قد خروجوا وانتهى أمرهم. وهي أكثر الشبهات انتشاراً، وقد قال بها جلَّةٌ من العلماء، ومن أصحاب المدرسة العقليّة الحديثة وغيرهم.

---

[1] التويجري، **إتحاف الجماعة** 3/ 168و170.

فممّن ذهب إلى ذلك محمّد أنور الكشميري حيث يقول:" واعلم أنّ يـــأجوج ومـــأجوج لا يبعد أن يكونوا أهل روسيا وبريطانيا، والمراد من خروجهم حملتهم، وقد خرجوا مراراً. فـــإنّ تيمورلنك وجنكيزخان وهولاكو ، كلّهم كانوا من يأجوج ومأجوج، ولم أر فعلهـــم ببنـــي آدم إلا التدمير، واستباحة بيضتهم، ولعلهم يخرجون من نسلهم في زمن قدّره الله تعالى. فيعيثـــون فـــي الأرض مفسدين. أمّا السد فقد اندك اليوم، وحققت في رسالتي" عقيدة الاسلام" أنّ هؤلاء ليســـوا الا من بني آدم، وأنّ المراد من خروجهم ليس إلا خروجهم على وجه الفساد، وأنّ الســـد لـــيس بمانع من خروجهم اليوم أيضاً "[1].

وممّن ذهب إلى ذلك الرأي أيضاً عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله حيث يقول:" " أن يأجوج ومأجوج أمّة اندفعت من مساكنها الأصلية في منغوليا وتركستان، وتفرعت عنهـــا: التتر، والصين، واليابان، والروس، واكتسحت الشعوب الأوربية، وامتزجت بهم. فهم هذه الأمم، وإن صارت لهم أسماء مخصوصة، ومن وراءهم من الأمم، كأمريكا، حكمها حكمهم.

ويبدي السعدي وجهاً آخر؛ وهو أنّ الأوْلى أن يكون لفظ «يأجوج ومأجوج» المشتق من الأجيج والسرعة، اسم جنس، يشملهم، ويشمل غيرهم ممن تنطبق عليه صفاتهم؛ من كثرة الشر والكفر، ولا يقتصر على طائفة مخصوصة".[2]

ويتابع السعدي: "أنّ المخترعات الحديثة، والصناعات الراقيـــة، مكنـــتهم مـــن تجـــاوز الحواجز الطبيعية الأخرى، فانفتحوا على النّاس من كل مكان، فبرزوا من فوق رؤوس الجبال، ونفذوا من فوق متون البحار، وصعدوا في جو السماء، وصاروا «من كل حدبٍ ينسلون»، ولـــم يعودوا محصورين خلف الردم لا يطلع عليهم أحد.ـــ إنّ انفتاح يأجوج ومـــأجوج، وخـــروجهم الابتدائي قد وقع، وحصل منهم الإفساد في الأرض على الناس عموماً، وعلى المسلمين والعرب خصوصاً، كفتنة التتار، في المشرق، وغزوات المجار في بلاد أوربه"[3].

---

[1] الكشميري، محمد أنور (ت: 1352 هـــ)، **فيض الباري على صحيح البخاري**، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية (منشورات محمد علي بيضون)، بيروت، ط1، 2005م، كتاب الجهاد، باب قتال اليهود، 197/4.

[2] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376 هـــ) ، **رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج**، تحقيق: أحمد بن عبد الرحمن القاضي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 2006م، ص52. بتصرف

[3] المصدر السابق، ص51.

وقد أنكر كبارُ العلماءِ في جزيرة العرب آنذاك ما قرره الشيخ السعديُّ في رسالته في أمر يأجوج ومأجوج غاية الإنكار، واستدعاه الملك عبد العزيز إلى الرياض بسببها، وتهدده وتوعده"[1]

قال حمود التويجري: "وبعد ذلك لم نسمع عنه أنّه تكلّم في يأجوج ومأجوج بشيء حتى طبع "تفسيره"، فإذا كلامه فيه بخلاف ما قرره برسالته التي أنكرها كبار العلماء، ولم يخرج في تفسير الآيات من سورة الكهف ومن سورة الأنبياء على ما قرره المفسرون في أمر يأجوج ومأجوج، فيحتمل أنّه رجع عما قرره في رسالته، وإن لم يكن رجع عن ذلك، فكلامه في يأجوج ومأجوج متناقض، فيؤخذ بما كان منه موافقاً لأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، ويرد ما خالفهم فيه"[2].

وممّن تابع السعدي في ذلك عبدُ العزيز بن خلف بن عبد الله آل خلف، رئيس محكمة الجوف الشرعية، رحمه الله، في كتابه: «دليل المستفيد على كل مستحدث جديد»، حتى قال في فقه حديث بعث النار، من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون: (.. وهو ينص على الذين يستحقون النّار من البشر من بعثته صلّى الله عليه وسلّم إلى أن تفنى الدنيا، ينحصرون في هذا العدد الذي ذكره صلّى الله عليه وسلّم. وهم بنص الرسول يسمون «يأجوج ومأجوج» لأنّهم مجموع بعث النار من بعثته إلى أن تفنى الدنيا، ولم يشر إلى أنّ أحداً يستحق النّار غيرهم من البشر، فهو دليل صريح على أن يأجوج ومأجوج هم السواد الأعظم في النّاس اليوم. فيتوجه أنّ اسم يأجوج ومأجوج هو صفة من صفات الكفر بالله. ويمكن أن يقال: هو اسم لمن كان دهري جاحد (كذا) لأنّهم أغلب البشر في هذا الزمان وما بعده."[3] .

---

[1] التويجري، حمود بن عبد الله، (ت: 1413 هـ)، **الاحتجاج بالأثر لمن أنكر المهدي المنتظر**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، الارياض، ط1، 1403 هـ 1993م، ص:326-327.

[2] المصدر السابق، ص327.

[3]- **دليل المستفيد على كل مستحدث جديد**. ص146 - 147. نقلاً عن: **رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج، والكلام لمحقق الرسالة أحمد القاضي، ص57. وكتاب ذو القرنين وسد الصين من هو... وأين هو**، والكلام لمحقق الكتاب مشهور حسن آل سلمان، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 1424 هـ - 2003م، ص260.

وممّن قال بهذا الرأي أيضاً عبد الله بن زيد آل محمود، في كتابه (لا مهدي ينتظـــر)!! وقرر أنّ يأجوج ومأجوج قد خرجوا اليوم على المسلمين حـــيم اســـتدعاهم استنشـــاق رائحـــة البترول في بلدان العرب والمسلمين[1]! واعتبر مشهور حسن هذا القول شاذّاً وخاطئاً[2].

ومن القائلين بهذا القول أيضاً عبد الكريم الخطيب؛ قال رحمه الله:" فقوله تعـــالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾{الكهف:98 -99}. يبيّن ما سيقع في هذا اليوم، أي اليوم الذي يأذن الله سبحانه وتعالى بزوال هذا السد من مكانه، ونهاية دوره.. ففي هذا اليوم وهو أيام وأعوام - تتبـــدل معـــالم الأرض، وينهال هذا الردم، ويفتح السد فيما بين يأجوج ومأجوج، وبين الجماعات المتحضرة التي كانـــت في حماية بهذا السد من فسادها.. وعندئذ يختلط بعضهم ببعض، ويموج بعضـــهم فـــي بعـــض، وتعصف بهم عواصف الشر والفساد، حتى يفني بعضهم بعضاً. ثمّ بعد قليل أو كثير من الزمن، ينفخ في الصور، فيبعث الموتى من قبورهم، ويساقون إلى المحشر"[3].

وقال في تفسير الآية التي في سورة الأنبيـــاء فقـــال تعـــالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾{الأنبياء: 96}. "وعلى هذا، فلـــيس بالمســـتبعد أن يكـــون يأجوج ومأجوج قد خرجوا من هذا السد، بعد أن تداعى وانهار.. ومن يدري؟ فلعلهم التتار الذين طلعوا على الدولة الإسلاميّة، وأتوا على معالم الحضارة، في عاصمتها بغداد، وفي كل ما وقـــع لأيديهم من كل عامر...وربما كانت أمّة الصين، التي كانت تعيش في شبه عزلة عن العالم وها هي ذي اليوم تتجمع وراء حدودها، وقد ملكت في يدها القنبلة الذريّة..وإنّه ليس ببعيد هذا اليـــوم الذي تغزو فيه العالم كله.. بهذا السلاح الرهيب"[4].

وممّن قال بهذا القول أيضاً أحمد مصطفى المراغي في تفسيره؛ فهو يـــرى أنَّ يـــأجوج ومأجوج هم التتر والمغول. قال رحمه الله:" وقبل الشروع في تفسير هذه الآيات الكريمة لا بـــدّ

---

[1] آل محمود، عبد الله بن زيد، **لا مهدي ينتظر**، ص75-79. نقلاً عن تحقيق كتاب: **ذو القرنين وسد الصين من هو... وأين هو**، والكلام لمحقق الكتاب مشهور حسن آل سلمان، ص255.

[2] المصدر السابق، ص255.

[3] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن** 713/8.

[4] المصدر السابق 954/9 -955.

من بيان أمور تمس الحاجة إليها:من ذو القرنين ؟ من يأجوج ومأجوج ؟ أين سد ذي القـرنين ؟ يأجوج: هم التتر، ومأجوج: هم المغول، وأصلهما من أب واحد يسمى (ترك)، وكانوا يسـكنون الجزء الشمالي (من آسيا). سد ذي القرنين: وبذلك تعلم أنّ السد موجود فعـلاً، وأنّـه معجـزة للقرآن الكريم حقاً، وهي إحدى المعجزات التي أيدها التاريخ وعلم تقـويم البلـدان،...، فـأزال هؤلاء المغول دولة العرب وانتهت بقتل المستعصم آخر ملوكها، وبقي خليفة رسمي في مصر، وزال ملكهم بتاتاً في حدود الألف... "[1].

ومن الردود على أصحاب ذلك القول ما ذكره التويجري رحمه الله في قولـه: " ومـن المعلوم أنّ دول آسيا وأوربا وأمريكا لم تزل في أماكنها منذ زمان طويل، وأنّه ليس بينهم وبين غيرهم سد من حديد يمنعهم من الخروج والاختلاط بغيرهم من النّاس! فصفة يأجوج ومأجوج لا تنطبق على شيء من الدول المعروفة الآن،... وأمّا كون السائحين في الأرض لم يروا يـأجوج ومأجوج، ولا سد ذي القرنين؛ فلا يلزم منه عدم السد ويـأجوج ومـأجوج؛ فقـد يصـرف الله السائحين عن رؤيتهم ورؤية السد، وقد يجعل الله بينهم وبين النّاس بحراً لا يطاق اجتيـازه، أو غير ذلك من الموانع التي تمنع من رؤيتهم ورؤية السد، والله على كل شيء قـدير. والواجـب على المسلم الإيمان بما أخبر الله به في كتابه عن السد ويأجوج ومأجوج،وما صح عـن النّبـي صلى الله عليه وسلم في ذلك"[2].

وبعد... فهذه طائفة من أقوال المدرسة العقليّة الحديثة وغيرهم كلها تتبنـى أنّ يـأجوج ومأجوج قد خرجوا وانتهى أمرهم. وهو خلاف ظواهر الآيات الكريمة، والأحاديـث الشـريفة. فيأجوج ومأجوج غيب من الغيوب التي أخبرنا الله عن ظهورها بين يدي الساعة، وهو أمر لـم يظهر بعد، وما قد قيل في أمرهم استنتاجاً أو اجتهاداً من أنّهم التتـر والمغـول الـذين جـاءوا وانتهوا، كلام لا معتمد له، ولا داعي إليه"[3].

---

[1] المراغي، **تفسير المراغي** 10/6 - 13 (بتصرف يسير).

[2] التويجري، **إتحاف الجماعة 174/3**.

[3] انظر، نصر، عبد الكريم (معاصر) **أمارات الساعة**، الرضوان، ط1 2000م، ص 385-386.

الشبهة الثالثة: أنّ هناك عدة خروجات، فمنها ما حدث وانقضى؛ وهم المغول والتتـر، وأنّ خروجهم الأخير آخر الزمان بعد خروج الدّجال. وممّن ذهب إلـى هـذا صـاحب كتـاب (يأجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل)؛ ذكر مؤلفه الخروج الثالث إلى السابع ثمّ الخروج في الحاضر والمستقبل ثمّ الخروج الأخير[1]. وهو قول باطلٌ، لا دليل عليه من كتابٍ ولا سنّةٍ.

وممّن قال بهذه الشبهة أيضاً منصور عبد الحكيم؛ فهو يرى أنّ يـأجوج ومـأجوج قـد خرجوا عدة خروجات منها: الخروج الخامس، وبعده بني سد الصين العظـيم لوقـف هجمـات يأجوج ومأجوج، ويخلص إلى القول الخروج السادس عشر نهاية تأججهم ودخولهم في الإسلام، ولكنّه في أواخر الكتاب يقول: الخروج الأخير ليأجوج ومأجوج آخر الزمان قرب الساعة فـي زمن عيسى عليه السلام [2].

وهذا القول كالأقوال السابقة؛ ليس عليه دليل، وهو غيب من الغيوب التي لا يصار إلـى العلم بها عن طريق الاجتهاد؛ بل لا بد فيها من النّصوص القاطعة الجليّة.

الشبهة الرابعة: أنّ المقصود بيأجوج ومأجوج الاستنساخ. وإلى هذا ذهب أحمد الكبيسي؛ فقد فسّر قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ ﴾ { الأنبياء: ٩٦ } بالاستنسال (هكذا سمّاه ويقصد الاستنساخ). فالذي يجري الآن استنساخ نعجة إلى نعجة ومن إنسان إلى إنسان، وهذا الذي وصلوا إليه فعلاً الآن يستطيعون أن يستنسخوا إنسان ويكثروا في خمسة أيام حتى يصيروا مليوناً أو مليوني شخص، ولكنهم متوقفون، والنّبي صلى الله عليه وسلّم يذكر أنّ هؤلاء النّاس في المستقبل الذين إذا دخلوا على نهر شربوا منه فينشف، وأمّا ذو القرنين قديماً فقد كان هناك قبائل عظيمة تغير على مملكتهم فوضع السد، أمّا اليأجوج والمأجوج اليوم فهي ظاهرة كونيّة، ثمّ ذكر أنهم جماعات كالعميان واحد يقودهم

---

[1] الشفيع الماحي أحمد (معاصر) **يأجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل**، دار ابن حزم، ط1 1416هـ - 1996م، ص3.

[2] انظر: عبد الحكيم، منصور (معاصر)، **يأجوج ومأجوج من الوجود إلى الفناء**، دار الكتـاب العربـي، لبنـان، ط1 2004م، ص،245،78،215.

ويخليهم يفتكوا بالآخرين، التتار ذبحوا النّاس هؤلاء يأجوج ومأجوج، جميع العالم العربي الآن امتلأ أوربيين هؤلاء يأجوج ومأجوج هجموا هجمة واحدة، يعني واحد يقود مجموعة كبيرة ويقتل[1].

وهو قول باطلٌ، مخالف للكتاب والسنّة. ولا دليل عليه.

وهي: التأويل باختلاط النّاس واقتتالهم ثمّ قيام الساعة بعدها بــزمن، مــن غيــر بيــان التفاصيل المبيّنة في السنّة الصحيحة.

الشبهة الخامسة : أنّ يأجوج ومأجوج هم اليهود الموجودون الآن في فلسطين. وممّنــه قال بهذا القول إبراهيم هلال، مرجحاً عدم وجود السد الآن[2]. وهو قول بعيدٌ جداً عن الصــواب، ولا يشهد له كتاب ولا سنّة.

وبعد سرد هذه الشبهات فالذي يترجح أنّ يأجوج ومأجوج لــم يخرجــوا بعــد، وأنّهــم موجودون خلف السد الذي أقامه ذو القرنين، وسوف يخروجون عندما يأذن الله لهم بالخروج بعد نقبهم السد في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام . والله أعلم، وفوق كــل ذي علم عليم.

---

[1] استمعت لمقطع على اليوتيوب من كلامه في برنامج خير الكلام على قناة سما دبي والرابط www.youtube.com/watch?v=VmCmtU1Mhd0

[2] هلال، إبراهيم، (معاصر)، يأجوج ومأجوج ص41. نقلاً عن: تحقيق كتاب: الطباخ، **ذو القرنين**، ص255- 256.

المبحث الخامس:

الدّخان

قال الله سبحانه وتعالى﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ {الدّخان: 10}

هذه الآية الكريمة هي الوحيدة التي تتحدث عن علامة الدخان في القرآن الكـــريم، وقـــد اختلف في دلالتها على أقوالٍ ثلاثة:

1 -أنّ الدّخان المقصود في الآية من أشراط الساعة.

2 -أنّه قد تهيّأ لأهل مكة يوم أصابهم الجوع دخان فهو ليس على الحقيقة.

3 -أنّ ذلك يكون عند قيام الساعة وأنّ ذلك من أهوالها.

قال الطبري رحمه الله: " وقولـــه تعـــالى:﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ {الدخان: 10} اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبـــه، وأخبره أنّ السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذُكـــر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ربـــه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كـــان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدّة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان"[1].

ويمكن الجمع بين الآراء بأنّهما دخانان وعلامتان؛ ظهرت إحداهما وبقيـــت الأخـــرى؛ وهي التي ستقع في آخر الزمان، فأمّا التي ظهرت فهي ما كانت تراه قريش كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي، الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة[2].

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري** 13/22.

[2] انظر: الوابل، يوسف بن عبد الله (معاصر)، **أشراط الساعة**، دار ابن الجـــوزي، الســـعودية، ط21، 1425 هـــــ - ص387 -388. (رسالة جامعية).

"وظاهر الأحاديث تدل على أنّ الدّخان من الآيات المنتظرة، مع أنّه نص القرآن، وهــو واضح يراه كل أحد،...، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولــوا﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ {الدخان: 12}، فيكشف عنهم، ثم يعودون، وهذا قرب القيامة".[1]

ومن التفسيرات العقليّة الحديثة للدخان ما ذكره طنطاوي جوهري بقوله:" أو هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت سابقاً، وقد جاء في الحرب الكبرى التي بدأت سنة 1914 ميلادية فإنّ الدخان كان فيها من أعظم الآلات الحربيّة، وقد اخترعه الألمان وصار سنة وعادة ثابتة حربيّة، فيكون الدخان عند العرب الأولين قحطاً، وعند المسلمين الحالين حرباً وهلاكاً كما سيأتي إيضاحه، فارتقب الدخان العرب ثمّ البطشة الكبرى يوم بدر، وينتظر المسلمون اليوم حوادث كبرى، فإن لم يرجعوا عن جهلهم ونزغاتهم الجاهلية هلكوا، وقوله: ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ ﴾ أي: يحيط بهم وهو صفة لدخان وهو منطبق على دخان الحرب الماضية، فإنّ الدخان يدخل الخنادق، ويحيط بالمحاربين من كل جانب، ويكون قطعاً مظلمة عظيمة كالسحب العظيمة تحيط بالنّاس حال كونهم قائلين: ﴿ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ {الدخان: 11 12} .أي : سنؤمن إن تكشف عنّا العذاب، وهذه عادة النّاس أنّهم إذا وقعوا في شدة أياً كانت يعودون بالتوبة والرجوع عمّاهم فيه ".[2]

وقد تصدّى للرد عليه محمود شلتوت رحمه الله، وكان ممّا قال:" ومن عجيب ما رأينا من هذا النوع أن يفسر بعض الناظرين في القرآن قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ {الدّخان: 10- 11} بما ظهر في هذا العصر من الغازات السامة والغازات الخانقة التي أنتجها العقل البشري فيما انتج من وسائل التخريب والتدمير في هذا الزمان؟ يفسرون الآية بهذا ويغفلون عن قوله تعالى بعدها:

---

[1] آل بوطامي، **العقائد السلفية** ص771 .

[2] جوهري، طنطاوي،(ت:1354 هــ)، **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1350 هـ ، 13/21.

﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ {الدخان: 12}، ممّا يدل على أنّ هذه الظاهرة كانت على عهد النّبي صلى الله عليه وسلّم أصيب بها الذين عارضوه وكذّبوه وقالوا معلّم مجنون"[1].

وقال شلتوت رحمه الله معقباً على من يلهثون وراء تلك التفسيرات الخاطئة لآي الذكر الحكيم: وصلت إلينا هذه الثورة التي دونت في بطون الكتب ووضعت موضع التقديس، وفيها خلطٌ وخبطٌ وتشويهٌ لمعالم الدّين، فأقعدت النّاس عن النظر في القرآن، وملأت أذهان النّاس بألوان من الأوهام الفاسدة عن التشريع والعقيدة[2].

---

[1] شلتوت، محمود،(ت: 1383 هـ) مقال بعنوان "**القرآن والمسلمون**"، مجلة الرسالة، العدد(408)، 1941م، ص7و8.

[2] شلتوت، مقال بعنوان "**القرآن والمسلمون**"، مجلة الرسالة، العدد(408)، ص10.

المبحث السادس:

طلوع الشمس من مغربها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقصود بقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ {الأنعام: 158}.

ومن المعلوم أنّ تفسير النّبي صلى الله عليه وسلّم أعظم تفسير، ولا يقدّم عليه غيره، قال الشوكاني رحمه الله: "فإذا ثبت رفع هذا التفسير النّبوي من وجه صحيح لا قادح فيه فهو واجب التقديم له متحتم الأخذ به"[1].

وقد ورد في السنّة النبويّة رواية فيها تصريح وتوضيح لدلالة الآية الكريمة على هذا الشرط من الأشراط الكبار؛ وهو طلوع الشمس من مغربها، فقد أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه و سلم في قول الله عز وجلّ: ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴾ قال: "طلوع الشمس من مغربها"[2].

وقد ورد الحديث عن طلوع الشمس من مغربها في روايات كثيرة في الصحاح والسنن وسأقتصر على شيء منها.

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير** 264/2.

[2] الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، (ت:279 هـ) **سنن الترمذي**، 1مج، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، عليها أحكام الألباني، اعتنى بها: مشهور حسن، كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الأنعام، ص688 برقم 3071 قال الشيخ الألباني: صحيح.

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾"[1].

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي اله عنه، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم -:" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ"[2].

وقد فسّر كثير من أهل العلم هذه الآية الكريمة بأنّ المقصود بها طلوع الشمس من مغربها، وقد تضافرت الأحاديث النبويّة في الدلالة على ذلك.

قال الطبري رحمه الله: " وأولى الأقوال بالصواب في ذلك، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنّه قال: " ذلك حين تطلع الشمس من مغربها، وأمّا قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيرًا، من عمل صالح يصدِّق قِيلَه ويُحققه، من قبل طلوع الشمس من مغربها. لا ينفع كافرًا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك، إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسله، لأنها حالة لا تمتنع نفسٌ من الإقرار بالله، لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم، كحكم إيمانهم عند قيام الساعة"[3].

قال السعدي:" ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الخارقة للعادة، التي يعلم بها أنّ الساعة قد دنت، وأنّ القيامة قد اقتربت. ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ أي: إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه إن آمن، ولا المؤمنَ المقصر أن يزداد خيرُه بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له من الخير المرجوِّ قبل أن يأتي بعض الآيات...وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النّبي صلى الله عليه وسلّم أنّ المراد ببعض آيات

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري كتاب الجمعة بَاب { لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا }رقم** 4635، 58/6 . ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم 157.

[2] البخاري، **صحيح البخاري كتاب الجمعة بَاب { لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا}** رقم 4636 58/6.

[3] الطبري، **تفسير الطبري** 266/11

الله طلوع الشمس من مغربها وأنّ النّاس إذا رأوها آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم ويُغلق حينئذ بابُ التوبة"[1].

وقال ابن عثيمين رحمه الله:" إذن خروجها من مغربها يعني نهاية الدنيا اختل سيرها خربت الأفلاك بإذن الله عز وجلّ لأنّ اتجاه الأفلاك كله للغرب فإذا انعكست القضية معناها أنّ نظام الكون قد تغيّر وآن انقضاؤه فيكون طلوع الشمس من المغرب من أشراط الساعة الكبار"[2].

المطلب الثاني: أقوال المدرسة العقليّة الحديثة حول طلوع الشمس من مغربها والرد عليها

أولاً: ما ذكره حسن الترابي يقول عند تفسيره لهذه الآية: " فيوم يأتي بعض آيات ربك كذلك هو يوم الآخرة إذ ينحسم أمر الحياة الدنيا وينقضي دهرها عهد البلاء والنذير، ولا ينفع نفساً إيمانها يومئذ بما يبيّن لها من مشاهد الآخرة الحاضرة وهي لم تكن آمنت من قبل ولا كسبت في إيمانها ذاك بالغيب خيراً تتزود به لعهد الجزاء"[3].

فلا شك أنّ تفسيره بعيد إذ لم يذكر ولم يشر إلى أشراط الساعة أو إلى طلوع الشمس من مغربها التي هي مؤذنة لانقطاع التوبة، فهنا لم يذكر شططه، ولكن عنده انحرافات كثيرة في تفسير آيات أشراط الساعة وتقديمه للعقل على النّقل.

ثانياً: ما قاله محمّد رشيد رضا: "وقد روي في أحاديث منها الصحيح السند والضعيف الذي لا يحتج به وحده بأنّ هذه الآية التي أبهمت وأضيفت إلى الرب تعالى لتعظيم شأنها وتهويله هي طلوع الشمس من مغربها قبيل تلك القارعة الصاخبة التي ترج الأرض رجاً وتبس الجبال بسّاً، فتكون هباءً منبثاً، وبطل هذا النظام الشمسي وقد كان طلوع الشمس من مغربها بعيداً عن المألوف المعقول ولا سيما معقول من كانوا يقولون بما تقول فلاسفة اليونان في الأفلاك والعقول وأمّا علماء الهيئة الفلكية في هذا العصر فلا يتعذر على عقولهم أنّ تتصور

---

[1] السعدي، **تفسير السعدي** 1 /281.

[2] **السفاريني شرح العقيدة السفارينية** لابن عثيمين ص347.

[3] الترابي، حسن (معاصر) **التفسير التوحيدي**، دار الساقي، بيروت، ط1 2004م، 666/1.

حادثاً تتحول فيه حركة الأرض اليومية فيكون الشرق غرباً والغرب شرقاً، ولا ندري أيستلزم ذلك تغييرا آخر في النظام الشمسي أم لا "[1].

ثمّ بيّن في موضع آخر أن هذا مشكل مخالف للأحاديث الأخرى الواردة في نزول المسيح بعد الدجال وإيمان النّاس به، والمشكلات في الأحاديث الواردة في أشراط الساعة كثيرة أهم أسبابها فيما صحت أسانيده واضطربت المتون وتعارضت أو أشكلت من وجوه أخرى أنّ هذه الأحاديث رويت بالمعنى ولم يكن كل الرواة يفهم المراد منها لأنّها في أمور غيبيّة فاختلف التعبير باختلاف الأفهام ثمّ ذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه لم يصرح بالسماع فيخشى أنّه نقلها عن كعب الأحبار فتكون مرسلة ثمّ يخلص أنّها من المتشابهات[2].

ولا شك أنّ قوله مخالف للآية وصريح الحديث الصحيح.

يعلّق فهد الرومي بقوله: "فيقرب ذلك السيد رشيد رضا إلى العقل البشري ليسهل إيمان من لا يؤمن عقله بالخوارق"[3].

ثالثاً: ما ذكره محمّد سعيد الزغبي حيث يقول:" والمقصود بطلوع الشمس من مغربها هو بزوغ الحضارة من جهة الغرب أو من الجهة التي غربت فيها.إنّ حضارة هذا القرن قد أشرقت على المعمورة من الغرب وانتشرت كالشمس في أرجائها، إذ ما من أحد إلا وعليه أثر من آثار أشعتها، وما من امرئ إلا ووسمته"[4].

وكلامه هذا من التأويل الباطل، الذي لا دليل عليه، بل ولا شبهة دليل، وبطلانه ظاهر، لا يخفى على ذي لبٍّ.

فالحق أنّ المراد بـ ﴿بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾هو: طلوع الشمس من مغربها فقولنا هو قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.

---

[1] رضا، **تفسير المنار** 8/ 184

[2] انظر المصدر السابق 185/8 -186

[3] الرومي، **منهج المدرسة العقلية في التفسير** 1/ 523 .

[4] الزغبي، **السيد المسيح يلوح بالأفق**، ص93.

المبحث السابع:

خروج الدّابة

من الأشراط العظام التي تقع في أواخر عمر الدنيا وقبيل القيامة خروج دابة من الأرض تكلم النّاس وتخاطبهم، وقد وردت نصوص من الكتاب والسنّة الصحيحة في الدلالة على هذه العلامة فأمّا من القرآن الكريم فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ {النمل: 82}.

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الدّابة تخرج في آخر الزمان عند فساد النّاس وتَرْكِهم أوامر الله وتبديلهم الدّين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض -قيل: من مكة. وقيل: من غيرها. -فَتُكَلِّم النّاس على ذلك"[1].

ويقول السعدي رحمه الله: "أي: إذا وقع على النّاس القول الذي حتمه الله وفرض وقته. ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً﴾خارجة ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء. وهذه الدّابة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم العباد أنّ النّاس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي: لأجل أنّ النّاس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدّابة من آيات الله العجيبة ليبيّن للنّاس ما كانوا فيه يمترون. وهذه الدّابة هي الدّابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث [ولم يأت دليل يدل على كيفيتها ولا من أي: نوع هي وإنّما دلت الآية الكريمة على أنّ الله يخرجها للنّاس وأنّ هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة وأنّه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه والله أعلم"[2].

ويذكر ابن عاشور[3] لفتة بيانية فيقول رحمه الله: "والآية تشير إلى شيء من أشراط حلول الوعيد الذي أنذروا به وهو الوعيد الأكبر يعني وعيد البعث فتشير إلى شيء من أشراط

---

[1] ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** 210/6.

[2] السعدي **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** 610/1.

[3] ابن عاشور، ولد في تونس عام 1327 هـ، تخرج من المعهد الزيتوني وأصبح أستاذاً فيه فعميداً، وشغل خطة القضاء ثمّ مفتياً توفي في تونس عام 1390 هـ، من مؤلفاته: أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، والحركة الأدبية والفكرية في تونس.وغيرهما، انظر، الزركلي **الأعلام** 6/ 325.

الساعة وهو من خوارق العادات. والتعبير عن وقوعه بصيغة الماضي لتقريب زمن الحال من الماضي، أي أشرف وقوعه، على أن فعل الماضي مع (إذا) ينقلب إلى الاستقبال"[1].

ومن أبرز أقوال العقلانيّين في تفسير المراد بالدّابة:

أوّلاً: تأويل الدّابة بناقة صالح عليه الصلاة والسلام وهو من غريب ما قرأت وهو قول جواد عفانة يقو : "... وأين الدّليل على أنّ خروج الدّابة من أشراط الساعة ؟! وحق النّصوص أن تتكامل وهذا حق وهذه الآية جاءت بعد قوله تعالى بما يفهم منه أنّ الدّابة المقصودة هي ناقة صالح -عليه الصلاة والسلام -، ومعلوم أنّ ذلك القول قد وقع قبل بعثة النّبي -صلى الله عليه وسلم - بمئات السنين فلا تناقض، بل إنّ في هذه الآيات دليل لي في أنّ أشراط الساعة قد مضت قبل بعثة النّبي صلى الله عليه وسلم، وأنّ من يتوهم وجود تناقض بين آيات القرآن مخطئ أو واهم، لأنّ الحقيقة والواقع ينقضان وهمه وكلامه، ويا ليتك يا أخي تنظر ما قاله ابن كثير في تفسيره لآية الدّابة هذه لترى الإسرائيليات والخرافات الموقوفة في أبشع صورها"[2].

وهذا من الخطأ والزلل إذ الآية صريحة في خروج الدّابة.قوله باطل لا دليل عليه.

ثانياً: ما قاله عبد الكريم الخطيب في تفسيره: "وليس المراد بالدّابة دابة واحدة، وإنّما المراد جنسها، وهي كل ما يدب على الأرض من حيوان،.. من حشرات، وأنعام، وطيور.. وغيرها...هذا المفهوم الذي نستريح إليه من معنى الآية الكريمة"[3].

وهو قول ليس عليه دليل من الكتاب والسنّة. وهو مخالف للآية وصريح الحديث.

ثالثاً: أنّها ستخرج من خارج الغلاف الجوي وهو من عجيب ما قرأت في تجيّير النّصوص، فقد روّس صفحة الغلاف بقوله: (تفسير عصري ينشر لأوّل مرة) وعنون الكتاب بقوله: (من أشراط الساعة الكبرى خروج دابة الأرض من الأرض المجاورة) وبعد ذكره لأدلة

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** 38/20و39.

[2] عفانة، جواد، **حوار حول أحاديث الفتن وأشراط الساعة**، ص46.

[3] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن** 292/10.

من القرآن والسنّة على إثبات خروج الدّابة، بيّن أن الله تعالى لم يحدد بنص واضح لا يحتمل التأويل من أي أرض ستخرج الدّابة غير أنّ خروجها من الأرض المجاورة أبلغ في الدلالة واستدل بقوله تعالى:﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً ﴾يعني: أنّه هناك شيئين مختلفين وبعدها يعود ويبيّن أنّها ستخرج من خارج الغلاف الجوي ثمّ بعد أدلة واستدلالات يصرح أنّ إخراجها من الأرض الثانية ويخلص أنّ خروج الدّابة من مكانها في السماء وينقل روايات بدون تحقيق ولا علم فضلّ أضلّ[1].

وللرد على ما تقدّم أسوق ما ذكره القرطبي في تفسيره؛ فبعد ذكره لأقوال أئمة من الصحابة والتابعين في موضوع الدّابة قال رحمه الله: "...فهذه أقوال الصحابة والتابعين في خروج الدابة وصفتها وهي ترد قول من قال من المفسرين: إنّ الدّابة إنّما هي إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر..."[2].

رابعاً: قول محمّد سعيد الزغبي: "ونحن لا نعلم إلى الآن أن شيئا أخرج من الأرض وأصبح يدب على الأرض إلا السيارات والدبابات وما شابه ذلك من القطارات وغيرها، ومادة هذه الآليات قد استخرج من الأرض أي من المناجم الحديدية، لذلك أصبحت هذه الدّابة تكلم الناس بما ركب عليها من أجهزة لاسلكية أو مذياع (راديو) أو غير ذلك...والحقيقة لما بدأت هذه الدّابة في الثلاثينيات من هذا القرن كان النّاس عن سماع الحق في صمم، ذلك بما أحدثته هذه الثورة الصناعيّة من الفتن "[3].

وهذا القول أقرب إلى الإلحاد والنفي فهو لا يثبت الدّابة، إنّما ينفيها وتأويله مذموم مصادم لنصوص الكتاب والسنّة الصحيحة.

---

[1] انظر، عمرو، محمد يوسف (معاصر) **من أشراط الساعة الكبرى خروج دابة من الأرض المجاورة**، الدار الذهبية، القاهرة، 1997م ص53 55 65 71 .

[2] القرطبي **الجامع لأحكام القرآن** 13/ 237.

[3] الزغبي، **السيد المسيح يلوح بالأفق**، ص 107 - 108.

خامساً: قول أبي عبيّة إنّ المراد بالدّابة هي تلك الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالإنسان وأنّ المقصود بالكلم الجرح. قال أبو عبيّة: في حاشية (النّهاية في الفتن والملاحم) ما نصه: " لماذا لا يكون تكليم الدّابة للإنسان بلسان الحال لا بلسان المقال؟! وإنّ من معاني التكليم التجريح؛ يقال: كلمه كلماً إذا جرحه، وكلمه تكليماً إذا أكثر الجراحات فيه؛ فلماذا لا تفهم الآية على هذا الوجه؟! ليس ما يمنع من هذا ولا ذلك.

ولعل المراد بالدّابة هي تلك الجراثيم الخطيرة التي تفتك بالإنسان وجسمه وصحته وبأمواله زروعاً وثماراً ومواشي؛ جزاء له على بعض ما تجني يداه من إثم ونكر، وقصاصا على بعض تعديه لحدود الله وما شرع لعباده، والجراثيم الضارة الشديدة الخطورة منتشرة في كل مكان، تكاد تغطي مساحة الأرض وتملأ طبقات الجو، وهي تجرح وتقتل، ومن تجريحها وأذاها كلمات واعظة للناس لو كانت لهم قلوب ترجع بهم إلى الله ودينه، وتلزمهم المحجة التي ضلوا عنها وتركوها وراءهم ظهرياً، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال، وحمل صحاح الأحاديث النبوية وتفسير الآيات القرآنية الكريمة بما يناسب الواقع ويواكب المنطق ويتسق وفطرة الحياة أولى من السبح في أجواء من الخيال"[1].

ومن الردود على هذا الزعم يقول التويجري رحمه الله: "الجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن يقا : إنّ تأويل الدّابة التي تخرج من الأرض في آخر الزمان بالجراثيم التي تفتك بالإنسان وجسمه وأمواله تأويل باطل مردود.

الوجه الثاني: أنّ الجراثيم التي تفتك بالإنسان وصحته وأمواله قد كانت موجودة من أوّ الدنيا ومنتشرة في جميع أرجاء الأرض وأمّا دابة الأرض؛ فإنّما تخرج في آخر الزمان عند اقتراب الساعة. وعلى هذا؛ فتأويل الدّابة بالجراثيم من أبطل التأويل وأبعده من المنقول والمعقول.

---

[1] أبو عبيّة، **النهاية لابن كثير**، تعليق أبي عبيّة، 190/1.

الوجه الثالث: أنّ الجراثيم أنواع لا تحصى، وأمّا دابة الأرض؛ فإنّما هي دابة واحـــدة؛ كما يدل على ذلك ظاهر القرآن والأحاديث الصحيحة. وعلى هذا؛ فتأويل الدّابة بالجراثيم يخالف القرآن والأحاديث الصحيحة، وما خالف القرآن والأحاديث الصحيحة؛ فإنّه يجب اطراحـــه ورده على قائله.

الوجه الرابع: أنّ دابة الأرض التي أخبر الله بخروجها ليست من الدّواب التي يعرفهـــا النّاس، ولا من الجراثيم، وإنّما هي خلق عظيم هائل، من خوارق العادات... وإذا كانـــت بهـــذه الصفة العظيمة؛ فمن أقبح الجهل قول أبي عبيّة: إنّها هي الجراثيم التي تفتك بالإنسان وصـــحته وأمواله... لأنّ الجراثيم لا ترى إلا بالمكبرات، فضـــلاً عـــن أن تكـــون ممّـــا يكلّـــم النّـــاس ويخاطبهم،... وعلى هذا؛ فتأويل دابة الأرض بالجراثيم في غاية البعد والبطلان، بل هو نـــوع من الهذيان.

وأمّا قوله: "وحمل صحاح الأحاديث النبويّة وتفسير الآيات القرآنيّة الكريمة بما يناســـب الواقع ويواكب المنطق ويتسق وفطرة الحياة أولى من السبح في أجواء من الخيال". فجوابه مـــن وجهين:

أحدهما: أن يقال: إنّ الواجب على المسلم أن يؤمن بما جاء في كتاب الله تعالى، وبمـــا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم من أخبار الغيوب الماضية والآتية، ولا يجوز لأحد أن يرد ما خفي عليه منها، وما لا يحتمله عقله، ولا أن يحمل الآيات والأحاديث على غير ظاهرها من غير دليل من الكتاب أو السنّة يدل على ذلك.

وإذا علم هذا؛ فحمل الأحاديث الواردة في الدّابة على الجراثيم، وتفسير الآيـــة الكريمـــة بذلك، وزعم أبي عبيّة أنّ ذلك يناسب الواقع ويواكب المنطق ويتسق وفطرة الحياة؛ لا شك أنـــه من تحريف الكلم عن مواضعه،...

الوجه الثاني: أن يقال: ما أخبر الله به عن الدّابة أنّها تكلّم النّاس، وما جاء فـــي بعـــض الأحاديث من عظم خلقها،...وتخطم أنف الكافر؛ فكل ذلك حق على حقيقته، وليس من الخيـــال؛

كما قد توهم ذلك أبو عبيّة، ومن زعم أنّ ذلك من الخيال؛ فقد أخطأ خطأ كبيراً، وضل ضـــلالاً بعيداً"[1].

يقول السفاريني رحمه الله: "وطلوع الشمس من مغربها هو أوّل الآيات العظام المؤذنـــة بتغير انتظام العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، وأمّا خروج الدّابة فإنّه يقع في ذلك اليـــوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب "[2].

---

[1] التويجري **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة** 182/3 187.

[2] السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت: 1188هـ) **لوامع الأنوار البهيـــة وســـواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، 2 مـــج، مؤسســـة الخـــافقين ومكتبتهـــا دمشـــق، ط2 1402هـ - 1982م 142/2.

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة:

1 - إنّ المدرسة العقليّة الحديثة هي أفكار متعددة وليست منهجاً واحداً يتفاوتون قيما بينهم، ويختلفون في أفكارهم، ولكن يتفقون على تقديم العقل على النّقل.

2 - توجد أسباب أدّت إلى ظهور وتشكل هذه المدرسة أبرزها: وجود أصوات تنادي بالإقتباس من الغرب وإدخال بعض مناهج الغرب في التعليم، ودعاة وتربية وتأسيس فكرة تقديم العقل على النّقل، وضعف الدولة العثمانيّة وقلّة من وقف في وجه دعاة العقلانيّة.

3 - التفسيرات العقليّة لآيات أشراط الساعة الواردة في القرآن الكريم لم تقتصر على روّاد المدرسة العقليّة وحدهم، بل شاركهم فيها غيرُهم.

4 - بعض التفسيرات العقليّة لأشراط الساعة اعتمدت على دليل أو شبهة دليل، وبعضها قائم على الهوى المحض، وفرق شاسع ما بين الأمرين.

5 - لا يمكن أن يوجد تعارضٌ حقيقيٌ بين نصوص الوحي الصحيحة الصريحة وبين قطعيات العقول، فإذا توهمنا تعارضاً فينبغي تقديم الحق المطلق وهو الوحي، فلا يمكن أن تكون العقول هي الحكم لأنّها متفاوتة.

6 - تعددت التفسيرات العقليّة حول يأجوج ومأجوج بين نفي وجودهم بالكليّة، والقول بأنّهم المغول والتتر، والقول بأنّ لهم عدة خروجات، والقول بأنّهم سائر دول الكفر الموجودة اليوم، والقول بأنّهم اليهود الموجودون الآن في فلسطين. والحق الذي ندين به أنّهم موجودون ولم يخرجوا بعد.

7 - علامة الدّخان هناك خلاف بين السلف في تفسير الآية الكريمة، ولكن المتتبع لمجموع الأحاديث الثابتة عن النّبي صلى الله عليه وسلّم يتبيّن له أنّها من الأشراط الكبرى التي لم

تحصل بعد، وأنّ الدخان دخانان منه ما مضى، ومنه ما لم يحصل بعد وهو من الأشــراط الكبرى.

8 - طلوع الشمس من مغربها آية من الآيات التي لم تظهر بعد وهذا ما تدل عليــه نصــوص آيات القرآن الكريم والسنّة النّبويّة المطهرة.

9 - أشراط الساعة، أمر غيبيّ توقيفيّ، نؤمن بالنّصوص التي ذكرتها كما جاءت في الــوحيين، ولا نقدّم العقل على الوحي، وأنّ العقل السليم لا يعارض النّقل الصحيح.

المسارد

مسرد الآيات

21	الكهف	﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾	64 و 69
22	الأنبياء	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾	61 و 64 و 66 و 69 و 71
23	الأنبياء	﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي﴾	36
24	النّمل	﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ﴾	72 و 73
25	العنكبوت	﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ﴾	33
26	الروم	﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ﴾	10
27	الأحزاب	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾	1
28	ص	﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾	30
29	غافر	﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾	37
30	الشورى	﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾	32
31	الشورى	﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾	38
32	الدخان	﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾	73 و 74
	الدخان	﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ (11) رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ (12)﴾	74
33	محمّد	﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ﴾	38
34	النّجم	﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ (57) لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾	37
35	القمر	﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾	38 و 39 و 41 و 42 و 44 و 45 و 47 و 48
36	الحشر	﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ﴾	58
37	الجنّ	﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾	36

مسرد الأحاديث

الرقم	الحديث	الراوي	الصفحة
1.	انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ....	رواه الإمام البخاري	41
2.	أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً....	رواه البخاري	41
3.	انْشَقَّ الْقَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	رواه البخاري	41
4.	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا	رواه البخاري	51
5.	أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ..	رواه البخاري	61 -62
6.	لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ	رواه البخاري	62
7.	"ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ...	رواه مسلم	62 و63 و65
8.	"سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ"	سنن ابن ماجه	63
9.	﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها	سنن الترمذي	76
10.	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا...	رواه البخاري	77
11.	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا	رواه البخاري	77

مسرد الأعلام

قائمة المصادر والمراجع

(1) آل بوطامي، أحمد بن حجر (معاصر) **العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية**، دار الإيمان، الإسكندرية 2005م.

(2) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت:606 هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 5مج، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

(3) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت: 1137 هـ) **تفسير روح البيان** 10مج دار النشر دار إحياء التراث العربي.

(4) أسود، محمد عبد الرزّاق (معاصر)، **الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبويّة في مصر وبلاد الشام**، دار الكلم الطيّب، دمشق، ط1 1429 هـ - 2008م.

(5) الأشقر، عمر بن سليمان (معاصر) **القيامة الصغرى**، دار النفائس، عمان، ط 14 1427 هـ - 2007م.

(6) الآلوسي، محمود بن عبد الله الألوسي شهاب الدين (ت: 1270 هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** 30 مج، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(7) أمير، جابر إدريس علي، (معاصر) **منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة، أضواء السلف**، الرياض، ط1 1419 هـ -1998م.

(8) الأمين، الصادق الأمين، (معاصر)، **موقف المدرسة العقلية من السنّة النبويّة**، مكتبة الرشد، الرياض، ط1 1418هـ - 1998م. (رسالة جامعية).

(9) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (ت: 256 هـ) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** 4 مج، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة ط 1 1422هـ.

(10) البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: 516 هـ) ***معالم التنزيل*** 8مج حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون دار طيبة للنشر والتوزيع ط 4 1417 هـ - 1997 م.

(11) البوطي، محمد سعيد رمضان، (معاصر) **فقه السيرة النبويّة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، دار السلام، القاهرة، دار الفكر، بيروت، ط6 1419 هـ - 1999م.

(12) البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي، (ت: 685هـ)، **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لبنان، 1402 هـ - 1982م.

(13) الترابي، حسن (معاصر)، **التفسير التوحيدي**، دار الساقي، بيروت، ط1، 2004م.

(14) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، (ت:279 هـ) **سنن الترمذي** 1مج، دار المعارف، الرياض ط1.

(15) التويجري حمود بن عبد الله، (ت :1413 هـ)، **اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، 3مج، دار الصميعي، الرياض، ط2، 1414هـ.

(16) التويجري، حمود بن عبد الله، (ت: 1413 هـ)، **الاحتجاج بالأثر لمن أنكر المهدي المنتظر**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، الارياض، ط1، 1403 هـ 1993م.

(17) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: 728 هـ) **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية** 6مج تحقيق د. محمد السيد دمشق مؤسسة علوم القرآن 1404 هـ.

(18) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم الحراني، (ت: 728هـ)، **درء تعارض العقل والنّقل**، تحقيق: إياد القيسي، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، 1427هـ.

(19) جبر، محمّد سلامة (معاصر) **أشراط الساعة وأسرارها**، دار السلام، مصر، ط3 1424 هـ - 2003م.

(20) الجرجاني، علي بن محمّد بن علي (ت:816 هـ) **التعريفات** 1مج، تحقيق: إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1 1405 هـ.

(21) جوهري، طنطاوي،(ت: 1358 هـ)، **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1350 هـ.

(23) الجهني، مانع بن حماد (معاصر) **الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية، الرياض، ط3 1418 هـ.

(24) حسين، محمد محمد، (معاصر)، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط5 1402 هـ - 1982م

(25) الحميد، عبد الكريم بن صالح (معاصر) **إبطال دعوى الخروج ليأجوج ومأجوج** 1424 هـ،

(26) أبا حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت: 745 هـ) **تفسير البحر المحيط** 8مج تحقيق: عادل أحمد وآخرون دار الكتب العلمية لبنان بيروت ط1 1422 هـ - 2001 م.

(27) الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، (ت:741 هـ) **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل 7**مج، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ - 1979 م.

(28) الخطيب، عبد الكريم، (ت: 2008م)، **تفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، بيروت، 1970م.

(29) الخلايلة، يوسف أحمد حسين (معاصر) **ملامح المدرسة العقليّة الحديثة في تفسير الدكتور عبد الله شحاته** 2007/8م. (رسالة ماجستير الجامعة الأردنيّة).

(30) الدرديري، محمد، (معاصر) **التأويل الفاسد وأثره السيئ على الأمة**، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1 2003م.

(31) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت:748 هـ)، **سير أعلام النبلاء**، مكتبة الصفا، مصر، ط1، 2003م.

(32) الرازي، محمد بن أبي بكر، (ت:666هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415 هـ - 1995م.

(33) رضا محمّد رشيد، (ت: 1354هـ) **المنار**، دار الكتب العلمية، لبنان، بتاريخ 1929/10/3م.

(34) رضا محمّد رشيد **(**ت: 1354هـ) **تفسير القرآن الحكيم، (المشهور بتفسير المنار)** دار الكتب العلمية، لبنان، ط2 1426 هـ - 2005م.

(35) الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (معاصر)، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1414هـ.

(35) الزَّبيدي مرتضى محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،(ت:1205 هـ) **تاج العروس من جواهر القاموس** 40مج، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية.

(36) الزر كلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس **(** ت**:**1396 هـ)، **الأعلام** بيروت، دار العلم للملايين، ط6 1984م.

(37) الزغبي، مجمد سعيد (معاصر) **السيد المسيح يلوح بالأفق**، ط1 1413 **هـ** - 1993م.

(35) الزغير لطفي بن محمد (معاصر) **التعارض في الحديث**، مكتبة العبيكان، السعوديّة، ط1 1428 هـ.

(36) زكي، أبو أسامة عادل (معاصر) **المهدي دولة الإسلام القادمة**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1 1426هـ - 2005م.

(37) شلتوت، محمود،(ت: 1383 هـ) مقال بعنوان **"القرآن والمسلمون"**، مجلة الرسالة، العدد(408)، 1941م.

(38) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376 هـ) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** 1 مج، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة، ط1 1420 هـ - 2000م.

(39) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376 هـ) ، **رسالتان في فتنة الدّجال ويأجوج ومأجوج**، تحقيق: أحمد بن عبد الرحمن القاضي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 2006م.

(40) السفاريني، السفاريني محمد بن أحمد بن سالم (ت:1188 هـ)، **شرح العقيدة السفارينية** تحقيق وشرح: ابن عثيمين، الكتاب العلمي للنشر، لبنان، 1428 هـ - 2007م.

(41) أحمد الشفيع الماحي (معاصر) **يأجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل** دار ابن حزم، ط1 1416 هـ - 1996م.

(42) شلتوت، محمود، (ت:1383هـ) **الإسلام عقيدة وشريعة**، دار الشروق، بيروت.

(43) شلتوت، محمود (ت: 1383 هـ) **الفتاوى**، دار القلم، القاهرة.

(44) الشنقيطي، محمد الأمين، (ت: 1375 هـ) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** المطابع الأهليّة، الرياض، 1403 هـ -1983م.

(45) الشوكاني، محمد بن علي (ت:1250هـ) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** 5مج.

(46) الشويعر محمد بن سعد، (معاصر)، **وقفات مع كتاب دين الله واحد ونقد المدرسة الفكرية المعاصرة**، دار الفتح، الشارقة، ط1، 1417هـ -1996م.

(47) صبري، مصطفى،(ت: 1954م) **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، دار إحياء التراث العربي، لبنان ط2 1401 هـ - 1981م.

(48) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: 310 هـ) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** 24مج تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر، لبنان: مؤسسة الرسالة ط1 1420هـ - 2000م.

(49) الحنفيّ، صدر الدين علي بن محمد الحنفيّ، (ت:792هـ)، **العقيدة الطحاوية**، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث،القاهرة، ط 1، 1421هـ- 2000م.

(50) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت:1393 هـ) **التحرير والتنوير** 11مج، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

(51) عبد الحكيم، منصور (معاصر) **يأجوج ومأجوج من الوجود إلى الفناء**، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1 2004م.

(52) عبد الرزاق، مصطفى، **العروة الوثقى**، الأفغاني جمال الدين وعبده محمد، دار الكتاب العربي، لبنان ط2 1400 هـ - 1980م.

(53) عبد الهادي، سامح عبد الإله (معاصر)، **الانحراف في فهم الحديث النّبوي**، (دراسة تأصيليّة تطبيقيّة) دراسة جامعية (ماجستير) النجاح، 2010م.

(54) أبوعبيّة، محمد فهيم (معاصر) **نهاية البداية والنهاية** لابن كثير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط1.

(55) العقل ناصر عبد الكريم (معاصر)، **الاتجاهات العقلانية الحديثة**، دار الفضيلة، السعودية، ط1، 1422هـ- 2001م.

(56) عمارة، محمد (معاصر) **عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحريّة ومجدد الإسلام**، دار الوحدة، لبنان، ط1 1984م.

(57) عمارة، محمد (معاصر) **التراث في ضوء العقل**، بيروت، ط1 1980م.

(58) عمارة، محمد (معاصر) **مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربيّة**، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، ط1 1423هـ - 2003م.

(59) عمرو، محمد يوسف (معاصر) **من أشراط الساعة الكبرى خروج دابة من الأرض المجاورة**، الدار الذهبية، القاهرة، 1997م.

(60) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، (ت:395 هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، 6مج، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

(61) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، (ت: 671 هـ) **الجامع لأحكام القرآن** تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية 1423 هـ - 2003 م.

(62) القوسي، مفرح بن سليمان (معاصر) **الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، ط1 1418 هـ - 1997م.

(63) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت:751 هـ) **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، 4مج، تحقيق: د علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، السعودية ط3 1418هـ - 1998م.

(64) ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت: 774هـ) **البداية والنهاية**، دار الفجر، القاهرة ط1 1424 هـ -2003م.

(65) ابن كثير، اسماعيل عمر الدمشقي (ت: 774هـ) **صحيح النهاية في الفتن والملاحم** تحقيق: صلاح الدين السعيد، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1 1428 هـ - 2007م.

(66) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت: 774هـ) **المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام -** دار مكتبة التربية، لبنان، 1987م.

(67) الكردي، محمد ضياء الدين (معاصر) **عقيدة الإسلام في رفع سيدنا عيسى ونزوله عليه السلام في آخر الزمان وبعض أشراط الساعة العظام**، ط 1 1402 هـ - 1982م

(68) الكشميري محمد أنور شاه (ت:1352هـ) **التصريح بما تواتر في نزول المسيح** ترتيب: محمد شفيع، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار القلم دمشق، ط 5 1412 هـ - 1992م.

(69) الكشميري، محمد أنور (ت: 1352 هـ)، **فيض الباري على صحيح البخاري**، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية (منشورات محمد علي بيضون)، بيروت، ط1، 2005م.

(70) ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت:273 هـ) **سنن ابن ماجه** 1مج، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.

(71) المخزومي مجاهد بن جبر التابعي أبو الحجاج (104 هـ) **تفسير مجاهد** 2مج تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد المنشورات العلمية بيروت.

(72) محمد علي، محمود عطية ، (معاصر)، **فقد جاء أشراطها**، المركز العلمي للدراسات، رام الله، فلسطين، ط3، 1429هـ- 2008 م.

(73) المراغي، أحمد مصطفى (ت: 1371 هـ) **تفسير المراغي** 10 مج، تحقيق: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1418 هـ - 1998م.

(74) النيسابوري مسلم بن الحجاج (ت:275 هـ) **صحيح مسلم.**

(75) الطباخ، محمد راغب (ت: 1370 هـ) **ذو القرنين وسد الصين من هو... وأين هو... تحقيق:** مشهور حسن آل سلمان، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 1424 هـ - 2003م.

(76) المقدّم، محمد أحمد إسماعيل (معاصر)، **فقه أشراط الساعة**، الدار العالمية، مصر، ط1 1425 هـ - 2004 م.

(77) المنجد، صلاح الدين (معاصر) **العقل في القرآن والسنّة** (كتيب) دار الكتاب الجديد، لبنان، ط2 1976م.

(78) ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت: 711 هـ)، **لسان العرب**، 15مج، دار صادر، بيروت، ط1.

(79) النّحاس، أبو جعفر، (ت:338 هـ)، **معاني القرآن الكريم**، 6مج، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المرمة، ط1، 1409 هـ.

(80) نصر، عبد الكريم (معاصر) **أمارات الساعة**، الرضوان، ط1 2000م.

(81) هراس، محمد خليل (معاصر) **فصل المقال في رفع عيسى صلى الله عليه وسلم حيا ونزوله وقتله للدجال**، تحقيق: أبو الفداء السيد عبد المقصود، مكتبة السنّة، مصر، ط2 1413 هـ - 1993م

(82) الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد، (ت:415 هـــ)، **شرح الأصول الخمسة،**1مج، تعليق: أحمد بن أبي هاشم، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، مصر، ط3 1416 هـــ- 1996م.

(83) الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي (ت:1308هـــ) **إظهارالحق** 4مج، تحقيق: الدكتور محمد ملكاوي، دار أولي النهى ودار الوطن، السعودية، 1412 هـــ.

(84) الوابل، يوسف عبد الله، (معاصر)، **أشراط الساعة،** دار ابن الجوزي، ط21، 1425هـ، (رسالة ماجستير).

(85) الواحدي، علي بن أحمد الو احدي أبو الحسن، (ت: 468هـــ) **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي)** 1مج.

Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The explanations of the school of modern mental for the signs of the doomsday (critical study)

Prepared by
Mustafa Salah Edin Hasan Sabri

Supervised by
Dr. Khaled Elwan

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din) , Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University , Nablus - Palestine .

2012

The explanations of the school of modern mental for the signs of the Doomsday(critical study)

Prepared by

Mustafa Salah Edin Hasan Sabri

Supervised by

Dr. Khaled Elwan

Abstract

This study includes the explanations of the school of modern mental for the signs of the doomsday in the holy Qur'an and studying them critically, so the study has a great importance since it concerns two sciences which are: science of interpretation and science of Islamic doctrine.

The researcher used the methodology of context analysis which is a form of the descriptive methodology.

This study tries to answer some questions, some of these:

- What is the school of modern mental and what about its origins?
- What were the reasons behind the rising of this school, and how to reply to it?
- How to deal with prescience in the holy Qur'an, and what are the mistakes of the mentalists in explainning the signs of doomsday in the holy Qur'an?

The study includes an introduction, abstract, three chapters, and a conclusion. The introduction includes a research literature, the abstract includes an introduction and definitions for some issues that concern the research, especially the definition of the school of modern mental.

The first chapter is titled by "who are the mentalists?". This chapter includes a definition of the school of modern mental, its relation with the ancient mentalists, and a definition for the most prominent pioneers of the school.

The title of the second chapter is **"the mistakes of the mentalists and that the sound mind doesn’t conflict with transmission"**.

The third chapter is titled with **" The explanations of the school of modern mental for the signs of the doomsday in the holy Qur'an"** and it contains the explanations of the school of modern mental for the six signs of the doomsday in the holy Qur'an, which are:

The splitting of the moon, the descent of Jesus -BPUH-, Gog and Magog, the smoke, the rising of the sun from the west, and the emergence of an animal.

Finally, the conclusion contains the most prominent results that have been come across through the research.

I ask God to make this humble work purely for his holy, and to be benefited by